الجـــزء الثانى

خـــط المـــرور
TRAJECTORY

الافتراض الأساسى الثورى

THE REVOLUTIONARY PREMISE

بالنسبة لكل تحفظات المؤسسات العسكرية توجد دائما ابتكارات تنادى بتغير ثورى. فلقد اهتم دون موريللى ورفاقه الآخرون بإعادة التفكير فى كيف يقاتل جيش فى عالم الغد (جيش كان جزءًا من تقاليد عسكرية طويلة) وفى الواقع مَلأ المؤرخون أرفف المكتبات بكتب عن (ثورات فى شئون الحرب).

ومع ذلك فكثيرا ما طبق المصطلح بكرم شديد، فمثلا: قيل إنه تم تحديثه بصورة ثورية عندما هزم الإسكندر الأكبر الفرس بإشراك: (مشاة الغرب مع فرسان الشرق)، وتستخدم كلمة (ثورة) غالبا بالنسبة للتغيرات التكنولوجية - على سبيل المثال دخول البارود أو الطائرة أوالغواصة. وباعتراف الجميع أدت تلك الأمور إلى تغيير حقيقى فى الحرب. ومن المؤكد أنه كان لها تأثير ضخم على التاريخ اللاحق. إن ثورة حقيقية تذهب إلى ما وراء ذلك لتغير المباراة ذاتها بما فى ذلك قواعدها ومعداتها وحجم وتنظيم فرقها TEAMS وتدريبها وعقيدتها وتكتيكاتها وتقريبا كل شىء. وهى تقوم بذلك ليس فى فريق واحد ولكن فى فرق كثيرة فى آن واحد والأهم من ذلك أنها تغير علاقة المباراة بالمجتمع ذاته.

وبواسطة هذا المقياس فإن الثورات العسكرية ظهرت مرتين من قبل فى التاريخ، وهناك أسباب قوية للاعتقاد بأن الثورة الثالثة التى تبدأ الآن -

ستكون أعمقها جميعا. وفى غضون الحقب الحالية فقط نرى البارامترات الهامة للحرب وصلت إلى أقصى حدود لها. هذه البارامترات (العوامل المتغيرة PARAMETERS) هى المدى ودرجة القتل والسرعة.

إن الجيوش التى يمكنها أن تصل لأبعد وتضرب بدرجة أعنف وتصل إلى هناك أسرع عادة تفوز. بينما الجيوش ذات المدى المحدود والأقل تسليحا والأبطأ تخسر لهذا السبب فإن جزءا ضخما من الجهد الخلاق للإنسان كان يركز على زيادة المدى وزيادة قوة النيران وزيادة معدلات السرعة للأسلحة والجيوش.

تجمع (التقاء) مميت A DEADLY CONFERENCE

على طول التاريخ، حاول صناع الحرب زيادة طول ذراعهم. وفى كتاباته عن حرب القرن الرابع قبل الميلاد كتب المؤرخ ديودروس سكولاس أن الجنرال الإغريقى ايفيكراتس الذى قاتل مع الفرس ضد المصريين: جعل رماح الجنود نصف ما كانت عليه وضاعف من طول السيف تقريبا وهكذا زاد من مدى الأسلحة.

إن الأجهزة القديمة مثل المنجنيقات والباليستات كانت قادرة على رفع حجر أو كرة زنته عشرة أرطال وقذفها لمسافة ٣٥٠ ياردة والقوس الذى استخدم فى الصين فى عام ١١٠٠ حقق للجندى (سلاح الضرب من بعد) (STAND – OFF) قدرة على الوصول إلى مدى كبير. (وكان السلاح مخيفا لدرجة أن البابا انتوسنت الثانى عام ١١٢٩ حاول تحريمه) ووصلت السهام إلى مسافة كبيرة، وكان مدى الرمى للسهم، كما فى أواخر القرن التاسع عشر، ٦٦٠ ياردة استخدمه الأتراك، وفى القتال الفعلى لم يتحقق أقصى مدى للسلاح إلا نادرا.

وبحلول عام ١٩٤٢ كتب الكسندر دى سيفريسكى فى كتابه الخيالى (النصر من خلال القوة الجوية VICTORY THROUGH AIRPOWER) يحض الولايات المتحدة على تطوير طائرة قادرة على الطيران لمسافة ٦٠٠٠ميل والذى كان آنذاك أمرًا غير ممكن واليوم - مع التغاضى عن الأسلحة المتمركزة فى قواعد فضائية - لا توجد نقطة ما على سطح الأرض لا يمكن نظريا أن تصلها الصواريخ الباليستية العابرة للقارات، وحاملات الطائرات والغواصات والقاذفات التى يتم إمدادها بالوقود جوا أو خليط من كل ذلك ونظم تسليح أخرى ولكل الأغراض العملية لقد وصلت زيادة المدى إلى أقصى حدودها الأرضية. وكما هو الحال بالنسبة للمدى كانت السرعة فى يوليو ١٩٩١ أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية أن شعاعًا كيماويًا، الفاليزر CHEMICAL LASER ALPHA قادر على إنتاج ١٠٠ مليون وات كجزء من الاستخدامات ضد النظم الصاروخية. إن الليزر يمكنه إذا وجه بدقة الوصول إلى أى صاروخ معادٍ بسرعة الضوء من المفترض أنها أقصى سرعة ممكنة.

وبالنسبة لدرجة القتل LETHALITY زادت القدرة الكلية للقتل اليوم لسلاح تقليدى خمسة أضعاف على ما كانت عليه فى بداية الثورة الصناعية. وهذا يعنى أن التسليح غير النووى (فى المتوسط له) ١٠٠٠٠٠ مرة قوة قتل عما كان عليه عندما بدأت المحركات البخارية والمصانع تغير من عالمنا. وبالنسبة للصواريخ NUKES فإننا نحتاج إلى أن نتأمل آثار ١٠٠ أو١٠٠٠ مفاعل تشير نوبل لتقدير مدى التهديد الذى تفرضه. إنه فى غضون نصف القرن الماضى فقط فإن سيناريوهات الكواكب المضادة اليوم أصبحت موضوعا خطيرا للمناقشة.

وباختصار حدثت ثلاثة خطوط للتطور العسكرى بصورة متفجرة فى أيامنا، المدى والسرعة ومستوى القتل كلها وصلت إلى أقصى حدودها فى لحظة واحدة تقريبا من التاريخ - النصف الأخير من القرن العشرين. ولو لم يكن شىء آخر فإن هذه الحقيقة وحدها يمكن أن تصوغ المصطلح (ثورة فى الحرب).

بعد المباراة النهائية AFTER THE ENDGAME

ولكن هذه الحقيقة ليست كل شىء. لأنه فى عام ١٩٨٧ بعد مضى اثنتى عشرة سنة بعد استكمال أول سلاح نووى انطلق سبوتنيك (أول سفينة فضاء فى العالم) فى السماوات ليفتح منطقة جديدة تماما للعمليات العسكرية. لقد تحول الفضاء فعلا إلى مجال للعمليات العسكرية من حيث الاستطلاع والمواصلات والملاحة ودراسة الأحوال الجوية، ومئات من الأمور الأخرى. ولم يحدث أى اختراق منذ بداية استخدام البحر والجو كمناطق للأعمال العسكرية، يمكن القول بأنه الاستخدام بعيد المدى لهذا الحدث.

بعد مضى سنوات قليلة من الإعلان بأن الولايات المتحدة تسعى لإنزال رجل على القمر أعلن الرئيس جون ف. كينيدى أنه لا يمكن لأحد أن يتنبأ بشكل أكيد كيف سيكون المعنى الحقيقى للسيطرة على الفضاء.

هذه التغييرات قد حدثت كلها فى مدى قصير - فى خمسة وثلاثين عاما - خلال المباراة النهائية للعصر الصناعى، وفى وقت - تقريبا - بدأ فيه نوع جديد من الاقتصاد والمجتمع يتشكل ، حتى مع تحول دول للتصنيع فإن موجة ثالثة أو مدنية ما بعد التصنيع بدأت فى الظهور فى الولايات المتحدة وأوروبا ومنطقة آسيا الباسيفيكية.

وهذا يساعد على تفسير أن الثورة العسكرية التى تلوح أمامنا ستكون أعمق بكثير عمًا تصور معظم المحللين حتى الآن. إن ثورة عسكرية، فى

الإدراك الكامل، تظهر فقط عندما تبزغ مدنية جديدة لتتحدى المدنية القديمة، ويجبر أفرعه العسكرية أن تتغير على كل المستويات فى آن واحد - ابتداء من التكنولوجيا والثقافة إلى العمليات والاستراتيجية والتكتيكات والتدريب والعقيدة والشئون الإدارية، وعندما يحدث ذلك فإن علاقة العسكرية بالاقتصاد والمجتمع تتحول ويتعرض ميزان القوى العسكرية على الأرض للتحطم.

إن ثورة بهذا العمق نادرا ما تحدث فى التاريخ.

حرب الموجة الأولى
FIRST WAVE WAR

عبر التاريخ عكست الطريقة التى شن بها الرجال والنساء الحرب الطريقة التى كانوا يعملون بها، ورغم الإيمان الرومانسى بأن الحياة فى المجتمعات القبلية الأولى كانت منسجمة وآمنة فإن المعارك العنيفة ظهرت بالتأكيد بين المجموعات قبل الزراعية والبدوية والقروية. وفى كتابه (نشوء الحرب) كتب موريس ذ. دافى عن (العدوان المتواصل بين المجموعات التى وَجَدت كثيرٌ من القبائل البدائية نفسها فيه. وقاتلت هذه المجموعة الصغيرة للثأر أو أسر النساء أو للحصول على المواد الغنية بالبروتين. ولكن العنف ليس مرادفا للحرب، ولم يحدث إلا مؤخرا أن اتخذ الصدام – الصورة الحقيقية للحرب – صداما دمويا بين دول منظمة. وعندما شنت الثورة الزراعية الموجة الأولى للتغيير فى تاريخ البشرية أدى ذلك تدريجيا إلى تشكيل المجتمعات الأولى لما قبل المدنية، لقد أدت إلى قيام المستوطنات الدائمة وإلى كثير من الابتكارات الاجتماعية والسياسية العديدة الأخرى. ومن بين هذه الابتكارات ومن أكثرها أهمية كانت الحرب ذاتها. أصبحت الزراعة رحم الحرب لسببين: فلقد ساعدت المجتمعات على إنتاج وتخزين فائض اقتصادى يستحق القتال من أجله، كما أنها عاجلت بتطور الدولة. وكلاهما معا أدَّيا إلى الظروف المسبقة لما نعرفه الآن ونسميه الحرب.

وترجع الكتابات عن أسباب الحرب إلى كل شىء ابتداء من التطرف الدينى إلى العدوان الموروث فى البشرية ومع ذلك تحدد كلمات كينيث

بولدينج – اقتصادى مشهور وداعية سلام – أن الحرب: (تختلف تماما عن اللصوصية والإغارة والعنف العادى فهى تتطلب فائضا فى الطعام من الزراعة يتم تجميعه فى مكان واحد ويوضع تحت تصرف سلطة واحدة.

الشعائر الدينية والموسيقى والعبث

RITES, MUSIC, AND FRIVOLITY

كانت هذه العلاقة بين الحرب والتربة واضحة بدقة للاستراتيجيين والمحاربين في الماضى. ولقد أعد القائد العظيم شانج فى كتاباته عن الصين كتابا باليد عن رجال الدولة ، إلى حد كبير مثل ما فعل ميكافيلى بعده بألف وثمانمائة (١٨٠٠) سنة فى هذا الكتاب أعلن شانج أن (الدولة تعتمد على الزراعة والحرب من أجل سلامها).

لقد خدم شانج دولة تشين (Ch'in) من عام ٣٥٩ ق.م إلى عام ٣٣٨ ق.م وكرر مرارا فى مخطوطه السياسى – العسكرى أنه ينصح الحاكم بأن يحافظ على بقاء الشعب جاهلا لتجنب الشغب وبعيدا عن الموسيقى، وأى عبث يشغلهم عن الزراعة والحرب، إن أى إنسان يدير دولة قادر على تطوير قدرة التربة إلى أقصى حد لها وأن يجبر الناس على القتال حتى الموت فيحصل على الشهرة والثراء معا.

عندما يكون حجم السكان ضئيلا فإن شانج يشجع الحاكم على تشجيع الهجرة إلى الداخل من جنود الحكام الإقطاعيين المجاورين: (عدهم بالمعافاة من التجنيد لمدة عشر سنوات واجعلهم يعملون فى الزراعة وبذلك تحرر أعدادا من شعبك للاشتراك فى الحرب) إن وصف لورد تشانج للمحافظة على انضباط عسكرى تعطى نكهة لتفكيره: (فى المعركة ينظم كل خمسة أفراد فى جماعة، وإذا قتل منهم واحد فإن الأربعة الآخرين تقطع

رءوسهم (من ناحية أخرى يجب مكافأة الضباط المنتصرين بالحبوب والعبيد أو حتى بإعطائهم الضرائب التى تفرض على ٣٠٠ عائلة).

لقد كان لورد تشانج معاصرا لصن تسو SUN – TZO الذى أصبح عمله (فن الحرب) أحد كلاسيكيات الحرب. ففى مقدمته لطبعة حديثة لهذا العمل كتب صمويل ب جريفيت: (خلال الربيع والخريف كانت الجيوش صغيرة، غير جيدة التنظيم، وقيادة غير ملائمة، فقيرة التسليح، سيئة التدريب، يتم إمدادها كيفما اتفق. وانتهت كثير من الحملات بمأساة بسبب عدم وجود شىء للقوات تأكله... وكانت المسائل تنتهى فى يوم واحد ومن الطبيعى أن المدن كانت تحاصر وأحيانا تبقى الجيوش فى الميدان لمدة طويلة. ولكن مثل هذه العمليات كانت غير عادية).

عمل موسمى A SEASONAL OCCUPATION

بعد عدة قرون لم تكن حالة العالم مختلفة إلى حد كبير عنها فى عصر الإغريق القدامى بالنسبة للطعام والزراعة. وكان المحصول فى المجتمعات الزراعية منخفضا إلى حد كبير وكان فائض الطعام لا زال قليلا إلى حد أن ٩٠٪ من كل القوة البشرية لازمة للعمل فى الأرض. وكان ذهاب الابن للخدمة العسكرية يعنى مأساة اقتصادية لأسرته. وهكذا طبقا لما ذكره المؤرخ فيليب م تيلور عندما كان الإغريق فى حرب كان العمل الموسمى العسكرى يأتى من المتطوعين الجنود الذين لا تحتاج إليهم الحقول فى أشهر الشتاء.

وكانت العودة إلى المزرعة بسرعة أمرًا حيويا. كان الحصاد ضروريا للمحصولات الثلاثة الرئيسية للإغريق – الزيتون والعنب والحبوب – تاركا شهرا أو شهرين يمكن أن يجد فيهما الفلاحون الصغار وقتا للقتال، هكذا

كتب العالم الكلاسيكى فيكتور هانسون فى: (الطريقة الغربية للحرب THE WESTERN WAY OF WAR) وأحيانا كان الجنود الإغريق يطالبون بإحضار احتياجات ثلاثة أيام من الطعام معهم عندما يحضرون لأداء الخدمة العسكرية. بعد ذلك كانوا يعتمدون على الريف. وطبقا لما ذكره المؤرخ جون كيجان فى الحرب بين المدن - الدول: (إن أسوأ دمار يمكن لمدينة أن تفعله فى مدينة أخرى، بعد قتل مواطنيها - الجنود فى أرض المعركة، القضاء على زراعاتها).

وكما هو الحال بالنسبة للتعميم التاريخى كانت توجد استثناءات بالنسبة لفكرة أن جيوش الموجة الأولى كانت فقيرة التنظيم والتسليح والقيادة. ولا يمكن لأحد أن يعتبر الفرق الرومانية قوات سيئة التنظيم. ومع ذلك فإن تعليق جريفيت على الطبيعة الرثة لجيوش فى عهد صن - تسو يمكن تطبيقها بالتساوى عبر معظم تاريخ البشرية وفى أجزاء أخرى من العالم كذلك.

وكان ذلك حقيقيًا بوجه خاص فى المجتمعات الزراعية غير المركزية حيث كان الإقطاع متسلطا ففيها كان الملك يعتمد على نبلائه فى استكمال قواته لأى حملة هامة. ولكن طلبه ذلك منهم كان عادة محدودا للغاية. وفى دراسته العظيمة (الطغيان الشرقى ORIENTAL DESPOTISM) كتب المؤرخ كارل أ. ويتفوجيل: (إن السلطة فى دولة إقطاعية لم تمتلك احتكارًا مطلقا للعمل العسكرى. وكقاعدة عامة يمكنها تعبئة فلاحيها لفترة محدودة فقط، ربما فى البداية لمدة ثلاثة شهور ثم بعد ذلك لمدة أربعين يوما، وبالنسبة للإقطاعيات الصغيرة غالبا ما كانوا يخدمون لمدة عشرين أو عشرة أيام أو أقل.

والأكثر من ذلك أن الفلاح لم يقدم عادة كل قوته للسلطة التى يتبعها ولكنه كان يبذل جزءا من قوته فقط. وغالبا ما كان هذا الجزء دون التزام

بالاستمرار فى القتال لصالح الملك إذا كانت الحرب خارجية. وباختصار كلن الملك يسيطر سيطرة كاملة على قوته، وكانت باقى قواته عادة مُرَقعة من وحدات مؤقتة ذات مهارات مشكوك فيها وتسليح ضعيف وولاء مشكوك فيه.

كتب ريتشارد شيلى هارتيجان فى تاريخ الحروب الأهلية: إن أحد اللوردات الإقطاعيين الذى تعرض للهجوم: (يمكنه إبقاء فلاحيه فى الخدمة العسكرية إلى أن يتم صد الغازى، ولكن أى لورد يشن هجومًا يمكنه إبقاء رجاله فى ميدان المعركة لمدة أربعين يوما فقط كل عام..) ومثلهم مثل الإغريق والصينيين القدماء كان الأمر يحتاج لهؤلاء الرجال لزراعة الأرض.

عدم دفع الأجور AN ABSENCE OF PAYCHEKS

إلى جانب ذلك ففى معظم جيوش الموجة الأولى كانت الأجور غير منتظمة، وكانت عينيه أكثر منها نقدية (كان النظام النقدى لا زال بدائيا - غير متطور). ومن الطبيعى أن الضباط كانوا يتقاضون أجورا أحسن بكثير من الجنود العاديين. وجاء فى أعمال المؤرخ تاسيراس فى وصفه للجيش الرومانى شكوى جندى بعد أن قضى حياته يتعرض: (للطعنات، والجروح، وفصول الشتاء القاسية، وفصول الصيف التى كثر فيها الطاعون، والحرب المرعبة و السلام البائس) وعضو فيلقى حقير مفصول من الخدمة.

وعليه فإن الوحدات العسكرية للموجة الأولى اختلفت إلى حد كبير من حيث الحجم والقدرات والمعنويات ونوعية القيادة والتدريب. وكان كثيرون يقودهم قادة مرتزقة متمردون وكما كان واقعا بالنسبة للاقتصاد كانت المواصلات بدائية وكان معظم الأوامر تصدر شفويا بدلا من الكتابة. وكان الجيش مثله مثل الاقتصاد يعيش بعيدا عن الأراضى.

ومثل الأدوات الخاصة بالزراعة كانت الأسلحة غير نمطية. وكانت العمالة الزراعية اليدوية تنعكس على القتال المتلاحم - رغم الاستخدام المحدود للأسلحة السائدة مثل المقلاع والقوس والنشاب والمنجنيق والمدفعية الأولى - لمدة آلاف السنين فى الحرب التى يتم فيها القتل والقتال وجها لوجه وكان الجنود مسلحين بأسلحة (رماح قصيرة - سيوف - الرماح الطويلة - الكباش) تعتمد على عضلات الإنسان ومصممة للقتال المتلاحم. فى اللوحة الشهيرة لبايوكس (BAYEUX) ظهر وليم المنتصر يمسك بهراوة وفى الفترة ١٦٥٠-١٧٠٠ كان القادة الكبار العسكريون يشتركون فى القتال المتلاحم. ولقد سجل المؤرخ مارتن فان كريفيليد أن فردريك الأعظم (كان على الأحرى أول قائد عام ظهر مرتديا بدلة من الحرير بدلا من الدروع).

ومن المحتمل أن الظروف الاقتصادية والعسكرية اختلفت فيما أسماه ويتفوجل (WITTFOAGEL) (المجتمعات الهيدروليكية HYDRAULIC SOCIETIES التى كان الأمر فيها يحتاج إلى مشروعات رى أدت إلى تعبئة العمل وظهور البيروقراطية الأولى ومنظمات عسكرية ذات تنظيم ثابت. ومع ذلك بقى القتال الفعلى شخصيا إلى حد كبير - وجها لوجه.

وباختصار تميزت حروب الموجة الأولى بخاتم واضح لاقتصاديات الموجة الأولى التى أدت إلى ظهورها ليس من حيث المفاهيم التكنولوجية وحدها ولكن من حيث التنظيم والمواصلات والشئون الإدارية وإدارة الأفراد ونظام الثواب، وأساليب القيادة والجوانب الثقافية.

ومع البداية الأولى لاختراع الزراعة أدت كل ثورة إلى ثورات انتقالية فى نظام صناعة الحرب.

حرب الموجة الثانية
SECOND WAVE WAR

لقد أطلقت الثورة الصناعية الموجة الثانية للتغيير التاريخى. وقامت هذه الموجة بتغيير أسلوب الحياة لملايين الناس. وكانت الحرب مرة أخرى مرآة للتغيير فى خلق الثروة وفى العمل. وتماما كما كان الإنتاج الكثيف هو قلب الاقتصاديات الصناعية أصبح التدمير الشامل هو قلب حرب العصر الصناعى. ولازال يمثل العلامة المميزة لحرب الموجة الثانية.

ابتداء من أواخر القرن السابع عشر عندما دخلت الآلة البخارية إلى مجال ضخ المياه خارج المناجم البريطانية وعندما غير نيوتن العلم، وعندما أعاد ديكارت كتابة الفلسفة، وعندما بدأت المصانع فى الانتشار على الأرض، وعندما بدأ الإنتاج الكبير (المكثف) يحل محل الزراعة فى الغرب أصبحت الحرب أيضا صناعية بشكل تقدمى.

لقد توازى الإنتاج الكبير مع الجيوش الضخمة (LE'VEE EN MASSE) تجنيد جيوش ضخمة يدفع تكاليفها بواسطة (غير الموالين لهم) ملاك الأراضى وقائد العصابة أو لورد الحرب ولكنها موالية للأمة - الدولة الحديثة - ولم يكن التجنيد جديدا ولكن فكرة أمة تحت السلاح AUX ARMES CITOYENS كانت نتاجا للثورة الفرنسية التى حددت بصورة تقريبية أزمة النظام الزراعى القديم والبزوغ السياسى للبرجوازية الحديثة.

يقول مؤرخ ييل ر. ر. بالمر إنه بعد عام ١٩٧٢ «بدأت موجة تجديد» تحدث ثورة فى شئون الحرب» حلت محل «الحرب المحدودة» للنظام

القديم وأصبحت الحرب غير محدودة الزمن.. كانت الحرب قبل الثورة الفرنسية صدامًا بين الحكام، ومنذ أن أصبح هذا الحدث أصبحت الحرب صداما بين الشعوب «لقد أصبحت بشكل متزايد صداما بين جيوش من المجندين أيضا» .

السونكى ومحالج القطن BAYONETS AND COTTON GINS

لم تصبح فى الولايات المتحدة الحرب صناعية إلى أن جاءت ١٨٦٢ - ١٨٦٣ فى الحرب الأهلية عندما هزم الشمال الجنوب الزراعى - حيث كان التجنيد الإجبارى فى كليهما. وبالمثل فى اليابان.

ولقد حدث أكثر تغيير درامى فى الحرب نتيجة النمطية الجديدة للأسلحة التى أصبحت تنتج بطرق الإنتاج الكبير (الكثيف) وبحلول عام ١٧٩٨ فى الولايات المتحدة الجديدة طالب مخترع محلج القطن «ايلى ويتنى» بعقد مع الحكومة لتصنيع من عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف قطعة سلاح كل يتكون من موسكيت (قرابينه) وسونكى ومدك بندقية ومساحة ومفك واقترح ويتنى كذلك صناعة صناديق خراطيش ومسدسات وغير ذلك من الأشياء باستخدام ماكينات الطرق والدرفلة والطفو والمثاقيب والشحذ «التجليخ» والتلميع «والصقل».. الخ.

لقد كان ذلك اقتراحا مدهشا فى ذلك الوقت. كتب المؤرخان جانيت ميرسكى وآلان نيفتر «إن عشرة آلاف أو خمسة عشر ألف قطعة سلاح كانت فكرة مدهشة وبعيدة الاحتمال مثلها مثل الطيران قبل كيتى هوك».

وساعدت الحرب على الإسراع فى عملية التصنيع ذاتها وذلك بانتشار قاعدة تبادل الأجزاء، لقد وضعت هذه القاعدة للاستخدام بسرعة فى كل

شيء ابتداء من المسدس إلى محركات السفن وفى اليابان قبل الصناعة كانت الميكنة البدائية أيضا تستخدم لتصنيع الأسلحة.

الجيوش الرثة المؤقتة التى كان يقودها النبلاء حل محلها جيوش نظامية ثابتة يقودها ضباط محترفون تم تدريبهم فى أكاديميات حربية. لقد خلق الفرنسيون نظام هيئة الأركان (ETAT-MAJOR) لتوفير تدريب رسمى للضباط على مناصب القيادة العليا. وفى عام ١٨٧٥ خلقت اليابان أكاديمتها العسكرية الخاصة بعد دراسة للأكاديمية الفرنسية. وفى عام ١٨٨١ بدأت الولايات المتحدة فى قبول طلبات التحاق لمدرستى المشاة والفرسان فى فورت لفينويرث بكانساس.

فيض من المذكرات A BARRAGE OF MEMOS

لقد أعيد تقسيم العمل فى الصناعة فى بداية بزوغ الأفرع المتخصصة الجديدة فى القوات المسلحة وكما فى الأعمال بدأت البيروقراطية فى النمو. وطورت الجيوش رئاسات الأركان. وحلت الأوامر المكتوبة محل الأوامر الشفوية لكثير من الأغراض. وتسللت المذكرات إلى الأعمال وفى أرض المعركة أيضا.

وفى كل مكان أصبحت العقلنة فى أسلوب التصنيع هى طابع اليوم. وهكذا كتب مايرون MEIRION وسوزى هاريس SUSIE HARRIES فى «جنود الشمس SOLDIERS OF THE SUN عن التاريخ المثير للجيش الامبراطورى اليابانى: «كانت ثمانينات القرن التاسع عشر هى سنوات تطور الجيش وظهور المؤسسة العسكرية القادرة على جمع المعلومات ووضع السياسة والتخطيط وتوجيه العمليات، وتجنيد وتدريب الأفراد وتسليحهم ونقلهم والإشراف على إنشاء قوات عسكرية حديثة».

لقد أدى عصر الآلة إلى مولد المدفع الرشاش وميكنة الحرب وتطوير كل أنواع ومصادر قوة النيران الجديدة لقد أدى التصنيع إلى تحسين الطرق والموانى والإمدادات بالطاقة ووسائل الاتصال. لقد خلقت فكرة الأمة «الدولة الحديثة» وأمدتها بوسائل أكثر فاعلية فى مجال جمع الضرائب. كل هذه التطورات زادت إلى حد كبير من اتساع نطاق مجهود العمليات العسكرية.

ومع جيشان الموجة الثانية فى المجتمع تآكلت مؤسسات الموجة الأولى واختفت من الوجود. وبرز نظام اجتماعى ربط بين الإنتاج والتعليم المكثف ووسائل الاتصال المكثفة، والاستهلاك الكبير، والترفيه المكثف مع الزيادة النامية لأسلحة التدمير الشامل.

الموت على خطوط التجميع

DEATH ON THE ASSEMBLY LINE

اعتمادا على قاعدتها الصناعية لتحقيق النصر قامت الولايات المتحدة خلال الحرب العالمية الثانية بإرسال ليس فقط ١٥مليون رجل إلى الحرب، بل أيضا بإنتاج مكثف لحوالى ٦ ملايين بندقية ومدفع رشاش وأكثر من ٣٠٠٠٠٠ طائرة، ١٠٠٠٠٠ دبابة ومركبة مدرعة، ٧١٠٠٠ سفينة بحرية، ٤١ مليار (وليس مليون) طلقة ذخيرة.

وأظهرت الحرب العالمية الثانية أيضا الجهد الرهيب لصناعة الموت. لقد قتل النازيون ستة ملايين يهودى[1] فى مصانع خاصة - خالقين بذلك خطوط تجميع للموت. لقد أدت الحرب ذاتها إلى مقتل ١٣ مليون جندى من كل الدول وحوالى الضعف من المدنيين.

---

(١) حقيقة الرقم حسب وثائق لم تجد الطريق إلى النور إنهم لا يزيدون عن ٦٠٠٠٠٠ فقط والباقى من جنسيات أخرى وفى الحرب العالمية الثانية فقد الاتحاد السوفيتي ٢٠ مليون قتيل.

وهكذا حتى قبل أن تدمر القنبلة الذرية مدينة هيروشيما ومدينة ناجازاكى وصلت الحرب إلى مستويات غير مسبوقة فى التدمير الشامل. ففى٩ مارس ١٩٤٥ على سبيل المثال، قامت ٣٣٤ قاذفة أمريكية ب-٢٩ بقصف طوكيو فى هجوم واحد أدى إلى تدمير ٢٦٧١٧١ مبنى وقتلت ٨٤٠٠٠ مدنى (وجرحت ٤٠٠٠٠ آخرين) وسوت بالأرض ١٦ ميلا مربعًا من المدينة.

لقد ضربت الغارات المكثفة أيضا كوفنترى فى إنجلترا ودرسدن فى ألمانيا وذلك دون ذكر المراكز السكانية الأصغر فى كل أنحاء أوروبا.

ما وراء المطلق BEYOND THE ABSOLUTE

كتب كلاوزفيتز عن «الحرب المطلقة». ومع ذلك لم يكن ذلك كافيا لباقى النظريين ليتبعوه. وعليه فإن الجنرال الألمانى أريك لودندورف بعد الحرب العالمية الأولى قام بتوسيع نطاق فكرة «الحرب الشاملة» التى وقف فيها كلاوزفيتز على رأسه. لقد رأى كلاوزفيتز فى الحرب امتدادًا للسياسة وأن العسكرية هى أداة من أدوات السياسة، وجادل لودندورف بأن الحرب يجب أن تكون شاملة للنظام السياسى ذاته وأن يكون هذا النظام خاضعا للعسكرية. وبعد ذلك توسع النظريون النازيون أكثر من لودندورف فى أفكار الحرب الشاملة بأن أنكروا حقيقة السلام ذاته وأصروا على أن السلام ليس إلا فترة من الإستعداد للحرب - «الحرب بين الحروب».

كانت الحرب الشاملة فى المعنى الأوسع لها تشن سياسيا واقتصاديا وثقافيا ودعائيا، وتم تحويل المجتمع كله إلى «آلة حرب» واحدة. وكانت طرازا صناعيا عقلانيا تم تنفيذه إلى أقصى مدى له. وكان التطبيق العسكرى لمثل هذه النظريات ما هو إلا زيادة للتدمير لأقصى مدى له. وكما كتب ب. هـ. ليدل هارت فى تاريخه عن الفكر الاستراتيجى: «لأكثر من قرن

كان المدفع الرئيسى للعقيدة العسكرية هو تدمير القوات الرئيسية للعدو فى ميدان المعركة الذى كان يمثل المشروعية للهدف الحقيقى من الحرب. وكان ذلك مقبولا عالميا، ومسجلا فى كل المراجع العسكرية، وتم تعليمه فى كل كليات الأركان».

ولكن تلك العصور كانت لا تزال عصور ما قبل التصنيع. إن أفكار الحرب الشاملة والتدمير الشامل كانت متبناة على نطاق واسع بعد الثورة الصناعية بسبب أنها كانت تناسب أهواء المجتمع الكبير - مدنية الموجة الثانية.

ولما كان من المفترض أن كل شىء يسهمُ فى الحرب الشاملة فإن كل شىء - ابتداء من مخازن الأسلحة إلى مساكن العمال ومن مستودعات الذخيرة إلى المطابع - أصبح هدفا مشروعا.

كورتيس لى ماى الجنرال الذى قاد غارة طوكيو الذى أصبح فيما بعد رئيس أركان القيادة الجوية الاستراتيجية للولايات المتحدة كان الحوارى النموذجى لنظرية التدمير الشامل، فهو يصر على أنه إذا حدثت الحرب لا يوجد وقت لوضع اسبقيات للأهداف ولا للتكنولوجيا لدقة الإصابة.

عندما كان السوفيت وحلف الناتو يواجهان بعضهما البعض فى ألمانيا بحلول الستينات أضيفت أسلحة نووية صغيرة ميدانية لترسانة الأسلحة (نسميها نحن العسكريين أسلحة نووية تكتيكية وتعبوية) للقوتين العظميين وصورت سيناريوهات الحرب استخدام هذه الأسلحة وفتح تشكيلات دبابات ضخمة تنطلق فوق «سجادة نووية وكيماوية» فى حرب استنزاف مثالية.

حقا طُوال الحرب الباردة بعد الحرب العالمية الثانية فإن القاعدة فى عدم استخدام قوة التدمير الشامل، والأسلحة النووية سادت العلاقة بين القوتين العظميين.

مع وصول المدنية الصناعية إلى أوجها (ذروتها) فيما بعد فترة الحرب العالمية الثانية أصبح التدمير الشامل يلعب نفس الدور الرئيسى فى العقيدة العسكرية كما فعل الإنتاج الكبير (المكثف) فى الاقتصاد. لقد كان الخيال المميت للإنتاج الكبير.

ومع ذلك بحلول أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات عندما بدأت تكنولوجيات الموجة الثالثة وأفكارها وأشكال مجتمعاتها وقواتها تتحدى مجتمع الكثرة للموجة الثانية بدأت تهب نسمات جديدة. وكما رأينا أصبح واضحا لعدد قليل من المفكرين العسكريين فى الولايات المتحدة وفى الكونجرس أن شيئا ما كان خاطئا من أساسه بالنسبة للعقيدة الأمريكية. ففى سباق زيادة مدى وسرعة قدرة القتل للأسلحة تم الوصول عمليا إلى الأقصى. إن الصراع ضد قوة السوفييت أدى إلى تعادل نووى وتهديدات جنونية «بالتدمير المتبادل المؤكد» هل كانت هناك طريقة لهزيمة العدوان السوفيتى بدون الصواريخ؟

إن تطور الحرب الحديثة - حرب العصر الصناعى - وصل إلى التناقص المثالى. إن الأمر يحتاج إلى ثورة حقيقية فى الفكر العسكرى، ثورة تعكس قوى اقتصادية وتكنولوجية جديدة تطلقها الموجة الثالثة للتغيير.

المعركة البرية الجوية
AIRLAND BATTLE

دون ستارى رجل طويل القامة أجش رمادى الشعر رمادى العيون، يلبس نظارات ذات إطار من الصلب ويتكلم بصوت هادئ إنه يهتم بفرش السجاد وطلاء بيته الصيفى فى جبال كولورادو، وهو يفهرس بدقة متناهية مكتبته ذات الـ٤٠٠٠ كتاب، ومرة كل عام يقوم هو وزوجته ليتى بالذهاب إلى كندا حيث يحضران احتفال شكسبير بستراتفورد وهو يبدو كما لو كان رئيسا لجامعة - وكان كذلك يوما ما - وليس فى جامعة تقليدية.

لقد قاد ستارى التدريب العقلانى الذى ساعد فى رفع الجيش الأمريكى من الثقب الأسود لضعف المعنويات الذى سقط فيه بعد فيتنام إلى قمة الأداء فى حرب الخليج.

فى الواقع وكما هو معروف على نطاق واسع للعالم يحلق ظل ستارى فوق صدام حسين ديكتاتور العراق - كل ذلك خلال حرب الخليج العربى، فلقد كان دون ستارى ودون موريللى هما اللذان بدءا التفكير فى حرب الموجة الثالثة وذلك قبل أن تبدأ بحقبة كاملة.

كان ستارى طفلا أثناء الكساد العظيم فى الثلاثينات. وكان والده يعمل فى محل مفروشات لفترة وكصحفى محلى فى منطقة الفلاحين فى كانساس، ولكنه كان أيضا ضابطا فى الحرس الوطنى لكانساس وأصبح دون جالب الحظ لمقاتلى نهاية الأسبوع فى مدينته (الموطن)، وبحلول

عام ١٩٤٣ كانت نيران الحرب العالمية الثانية تنتشر فى كل أنحاء الأرض وجند دون فى جيش الولايات المتحدة وكان مشوقا للقتال، ولكن ضابط صف حاد الإدراك رأى فيه بسرعة أنه يصلح كضابط، ووجه ستارى إلى عدد من الكتب التى اختارها وأخبره بأن يحبس نفسه فى حجرة لمدة ثلاثة أسابيع يقرأ خلالها هذه الكتب، وقال له ضابط الصف «ستارى إنك ستذهب لدخول امتحان مسابقة لويست بوينت» وعندما اعترض ستارى وقال إنه يريد الذهاب إلى الجبهة قال له ضابط الصف: «دعنى أقل لك شيئا، إن هذه الحرب لن تستمر إلى الأبد، إننى بالجيش منذ الحرب العالمية الأولى والجيش يحتاج دائما لضباط ممتازين. وأنت لا يمكنك أن تصبح ضابطا ممتازا الآن إنك مجرد جندى حقير ولكنى أريدك أن تذهب هناك وتدرس».

وبحلول الوقت الذى تخرج فيه من أكاديمية الجيش كملازم ثان (كان ذلك عام ١٩٤٨) كانت الحرب قد انتهت وأصبح ضابطا شابا فى جيش غير معبأ.

وصعد ستارى سُلَّم الترقى من قائد فصيلة إلى قائد سرية إلى ضابط أركان كتيبة، وخدم كخبير فى المدرعات فى كوريا فى الخمسينات، وكضابط مخابرات فى هيئة أركان الجيش الثامن وعندما تورطت الولايات فى حرب فيتنام وامتدت فى الستينات خدم ستارى كعضو فى فريق جيش لدراسة وتحليل الوحدات الميكانيكية والمدرعة وأعمالها.

بعد ذلك كعقيد قاد الفوج المدرع فرسان الشهير خلال تدخل الولايات المتحدة فى كمبوديا عام ١٩٧٠ وهناك فى صدام بالقرب من ممر طائرات عند سيول جرح نتيجة انفجار قنبلة يدوية فيتنامية.

وانعكست المأساة الأمريكية فى فيتنام وخاصة رد الفعل الشعبى على كثير من الضباط والجنود. وهوجم العسكريون بسبب تعاطيهم المخدرات والفساد والمجازر التى ارتكبت، ووجد الرجال الذين حاربوا بشجاعة أنفسهم متهمين بأنهم (قتلة الأطفال).

صدمة الغابة THE JUNGLE TRAUMA

أديرت الحرب فى فيتنام على أنها حرب صغيرة من البيت الأبيض ذاته إلى الحد الذى كان الرئيس أحيانا يختار شخصيا أهداف القاذفات) لقد كانت حربا بيروقراطية بشدة ممزقة بالصراعات الداخلية والتنافس بين الأفرع. وتحسنت الأمور عندما شن الفيتناميون الشماليون عمليات على مستوى الموجة الثانية ولكنها كانت فقيرة التنظيم بالنسبة لحرب عصابات ذات مستوى صغير - أساسا حرب غابات من الموجة الأولى.

ومع ذلك فإن ما أطلق عليه ستارى «الخبرة البائسة للجيش فى فيتنام» كان له تأثير إيجابى واحد. لقد أدت إلى البحث فى النفس والتحليل الذاتى بعمق وبأمانة أكثر من أى تحليل فى معظم الشركات الكبرى.

لقد كانت الأزمة أكثر سوءًا إذا ما نظر الإنسان إلى التوازن العسكرى فى أوروبا. فبينما كانت أمريكا متورطة فى فيتنام استغل السوفييت الحقبة لتحديث دباباتهم وصواريخهم وتطوير عقيدتهم وتقوية قوتهم البشرية فى أوروبا.

لقد استمرت الحرب الباردة هى العامل المسيطر فى الحياة الدولية، وبينما تعرضت الولايات المتحدة لمذلة الهزيمة لم يظهر السوفييت أية إشارات عن مستقبل تحللهم، فلقد استمر بريجنيف والحزب الشيوعى فى السلطة فى موسكو، وبقى العسكريون السوفييت كغوريلا زنة ٧٠٠ رطل حرة.

لأن الجيوش التقليدية للسوفيت والكتلة الشرقية كانت ضخمة جدا ولأن دباباتهم كانت تتفوق عددا على الغرب لم يتمكن المخططون فى الناتو من إيجاد طريقة تمكن قواتهم الصغرى من صد هجوم للجيش الأحمر على أوروبا الغربية بدون استخدام الأسلحة النووية، حقا كل سيناريوهات الناتو بالكامل بالنسبة للدفاع عن ألمانيا احتوت على استخدام الأسلحة النووية مبكرا من ثلاثة إلى عشرة أيام من الهجوم الابتدائى السوفييتى، ولكن إذا استخدمت الصواريخ NUKES فإنها ستدمر معظم ألمانيا الغربية التى تعهد الناتو بالدفاع عنها، علاوة على ذلك فإن التهديد الحالى بالتصاعد من الصواريخ التكتيكية قصيرة المدى إلى حرب نووية شاملة متبادلة أبقت على الأضواء متلألئة فى ظلام البنتاجون ومراكز قيادة الناتو فى بروكسل وفى الكرملين أيضا. كانت تلك هى المأساة الحقيقية التى واجهها دون ستارى عندما - فى عام ١٩٧٦ - تم إرساله لقيادة الفيلق الخامس الأمريكى فى ألمانيا الذى اتخذ أوضاعه فى أكثر الأماكن تعرضا فى كل أوروبا. واختصارا وجد ستارى نفسه فجأة رجل الويست بوينت ضد القوة السوفيتية الشاملة.

بالنسبة لستارى كانت المشكلة الرئيسية واضحة إنه لا يجب لأحد أن يطلق العنان للعفريت النووى الذى لا يمكن السيطرة عليه ويسمح له بالخروج من قمقمه. ولذلك يجب على الغرب أن يجد وسيلة للدفاع عن نفسه ضد التفوق العددى السوفيتى - بدون استخدام أسلحته النووية، وبحلول الوقت الذى وصل لتولى قيادته فى ألمانيا كان ستارى مقتنعًا بأن انتصارا نوويا يمكن تحقيقه ولكن ليس اعتمادا على العقيدة التقليدية.

تذكرة إلى تل أبيب

إن ما أقنع ستارى كان صداما قصيرا تم حدوثه منذ ثلاث سنوات. فعلى بعد ٢٠٠٠ ميل شرق حدود ألمانيا الغربية على الخط بين إسرائيل وسوريا فى التلال الوعرة التى سميت مرتفعات الجولان حدثت واحدة من أكبر معارك الدبابات فى التاريخ. وعلى كل ضباط الدبابات فى كل مكان دراسة هذه المعركة لعدة حقب مقبلة.

لقد بدأت فى يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ عندما قامت جيوش مصر وسوريا بالهجوم فجأة على إسرائيل[1] وبينما قامت إسرائيل بتحقيق أهدافها على العرب فى وقت قصير فى حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧، بعد أن دمرت قواتهم الجوية على الأرض قبل أن تحلق فى السماء فإن القوات العربية بحلول عام ١٩٧٣ كانت أحسن تسليحا وتدريبا وثقة فى انهم سيتمكنون من هزيمة إسرائيل إلى الأبد، ولِمَ لا؟ لقد شنت سوريا هجومها فى الشمال - خمسة فرق بها ٤٥٠٠٠ فرد تدعمهم ١٢٠٠ قطعة هاون ومدفعية اندفعت عبر الحدود الإسرائيلية واشتملت القوات على دبابات - ٦٢ أحسن الدبابات السوفيتية.

فى مواجهتهم لواءان إسرائيليان ضعيفان، اللواء السابع فى القطاع الشمالى واللواء ١٨٨ فى القطاع الجنوبى بإجمالى ٦٠٠٠ جندى معهم ١٧٠ دبابة، ٦٠ قطعة مدفعية.

---

(١) لأول وهلة قد يحس القارئ بأنه عدوان على إسرائيل ولكنه كان هجوما لتحرير أرض استولت عليها إسرائيل بالعدوان فى حرب يونيو ١٩٦٧ كما أنه من المعروف أن أكبر معركة دبابات دارت فى الجبهة المصرية خسرت فيها إسرائيل أكثر من ٦٠٠ دبابة وعندما تصدر وثائق حرب أكتوبر سيعرف العالم مدى خطأ ما كتبه مؤلفا هذا الكتاب لأن أسبابا أخرى خلاف ما ذكر كانت سببا فى توقف الهجوم السورى ليس من بينها بطولة اللواء الإسرائيلى.

وبعد مضى شهرين ونصف فى أوائل يناير ١٩٧٤ دعى ستارى وفريق من ضباط المدرعات بواسطة البريطانيين لزيارة بعض منشآتهم التدريبية. وكانت ليتى زوجة ستارى معه وتمتعوا بأربع ساعات حرة معا فى إنجلترا عندما تم استدعاؤهم فجأة بمكالمة من الجنرال كريتون ابرامز رئيس أركان الجيش. (سيوجد ضابط على باب محل إقامتك صباح الغد ومعه كل الأوراق الضرورية. أرسل زوجتك والفريق إلى الوطن. خذ رجلا واحدا معك، إنك ذاهب إلى إسرائيل).

وسرعان ما وجد ستارى نفسه يتفرس (ينظر بعمق) فى الخطوط التى لا نهاية لها للدبابات السورية المدمرة وناقلات الجند المدمرة. وقطع كل شبر من أرض معركة الجولان، وقابل مرارا القادة الإسرائيليين المهمين موشى (موسى) بيليد وافيجدور كاهالانى وبنى بيليد وغيرهم من قادة الكتائب واستعاد كل لحظات المعركة.

مفاجأة عند القنيطرة SURPRISE AT KUNEITRA

بدأت الحرب فى الساعة ١٣٥٨، بعد ظهر السادس من أكتوبر، وخلال أربعٍ وعشرين ساعة هوجم اللواء ١٨٨ الإسرائيلى بقوة فرقتين سوريتين وعدد ٦٠٠ دبابة وتم القضاء على اللواء بالكامل، وقتل ٩٩٪ من ضباط اللواء أو جرحوا وأصبحت القوات السورية المقتحمة على مسافة عشر دقائق من نهر الأردن وبحر الجليل، وبدا أن المدافعين تحطموا وأن السوريين اجتاحوا تقريبا مراكز قيادة الفرقة الإسرائيلية.

خلال ذلك توقفت الـ٥٠٠ دبابة السورية الأخرى القائمة بالهجوم فى النصف الشمالى من مرتفعات الجولان مع قوة معادلة لها من اللواء السابع الإسرائيلى الذى يدافع ومعه مائة دبابة. واستمرت المعركة أربعة أيام تمكن

فيها اللواء الإسرائيلى من تدمير مئات الدبابات السورية والعربات المدرعة قبل أن يخسر كل دباباته ولم يبق منها سوى سبع دبابات وفى تلك اللحظة بعد أن نفذت ذخيرته وكان على وشك الارتداد انضمت إليه ثلاث عشرة دبابة إضافية كانت قد تعرضت للتدمير وتم إصلاحها بسرعة وأرسلت مرة أخرى للقتال استكملت أطقمها من الجرحى الذين خرجوا من المستشفيات وعادوا إلى المعركة. وقام اللواء السابع بهجوم يائس مضاد مفاجئ أجبر الدبابات السورية المنهكة على الانسحاب.

ولكن المفتاح الحقيقى للمعركة حدث فى القطاع الجنوبى، فلقد كان هذا الاشتباك هو الذى غير طريقة فكرة ستارى عن الحرب.

إن الصمود الدموى للواء السابع فى الشمال كسب الوقت لوصول الدعم فى الجنوب. لقد اقتربت إحدى الفرق بقيادة الجنرال دان لانر من الجنوب الغربى، وتقدمت فرقة أخرى موازية لها بقيادة الجنرال موسى بيليد على مسافة عشرة أميال جنوب قوة لانر، وهذه القوات بدعم من القوات الجوية الإسرائيلية انضمتا معا لتكون كماشة حول تجميعات القوات السورية على بعد بضعة أميال جنوب القنيطرة.

وقام ستارى بتوجيه أسئلة للقادة الإسرائيليين عن تفاصيل المعركة. وفى لحظة ما عرف أن جدلا ثار بينهم حول التصرف حيال التدعيمات تحت قيادة موسى، لقد كان من المفروض أن تقوم هذه التدعيمات بتقوية النقاط الضعيفة وتستمر فى الدفاع. ولكن بيليد احتج على ذلك. وكل ما سيفعله هو زيادة الاستنزاف - وسيؤدى إلى الهزيمة فى النهاية، وبدلا من ذلك قرر بيليد - (ودعمه فى ذلك الجنرال حاييم بارليف رئيس الأركان السابق الذى كان على رأس المستشارين العسكريين لرئيسة الوزراء جولدا مائير) استخدام قوات الدعم فى الهجوم، وفى وسط هزيمة عامة صدر أمر بهجوم

تكتيكى بدلا من توجيه الهجوم إلى أقوى نقطة فى القوات السورية تم توجيهه من اتجاه غير متوقع.

ورغم أن بيليد فقد كثيرا من الرجال فإن هجومه على يسار القوات السورية فاجأهم وأفقدهم التوازن، وبتقدم بيليد بدأت الكماشة تضيق حول السوريين، وكانت النتيجة ليست المفاجأة فحسب ولكن التدمير أيضا، وهو يعنى أن كثيرا من قوات الدعم السورية لن تتمكن من الاشتراك فى القتال.

وبحلول وقت قبول سوريا لوقف إطلاق النيران الذى أعلنته الأمم المتحدة لتنهى الحرب فقد السوريون ١٣٠٠ دبابة (سقط منها ٨٦٧ دبابة فى أيدى الإسرائيليين). وقتل حوالى ٣٥٠٠ سورى وأسر ٣٧٠ آخرون، وجميع الدبابات الإسرائيلية أصيبت بطلقة أو أكثر ولكن كثيرًا منها تم إصلاحه بسرعة وتم دفعها مرة أخرى للمعركة، وتم تدمير حوالى مائة دبابة كليا، وفقد الإسرائيليون أكثر من ٧٧٢ رجلا وتم أسر حوالى ٦٥ آخرين بواسطة السوريين.

إن الدرس الأول بالنسبة لستارى كان «المعدل الابتدائى» لا يحدد النتيجة «لا يوجد أى اختلاف فيمن تفوق ولكن فيمن يتفوق» وبتعبير آخر كان لدى السوريون نسق بعد نسق دفع فى المعركة ولكن ذلك لم يفدهم شيئا.

والدرس الثانى الهام من يمتلك المبادرة: «سواء كان لديه التفوق أم لم يكن لديه التفوق سواء كان المهاجم أم المدافع» هو الذى يفوز. وكما أظهر الإسرائيليون حتى الجيش الصغير استراتيجيا فى الدفاع يمكنه أن يحصل على المبادأة[1]

---

(١) هناك خلاف جوهرى وهو إن الأمر ليس التفوق فى عدد الدبابات لأن المعركة هى معركة أسلحة مشتركة فقد يكون لطرف التفوق فى الدبابات ولكنه لم يوفق فى إدارة أسلحة مشتركة لأسباب عديدة فيخسر المعركة.

لم تكن هذه الأفكار جديدة. ولكنها تتطاير مباشرة في وجه ما كان حينذاك فكرا تقليديا. إن الاستنتاج القديم - الذى استقر فى المباريات الحربية والمناورات التدريبية - كان إذا قام السوفييت بالهجوم على ألمانيا فإن قوات الناتو ستتراجع وتقاتل قتالا تعطيليا ثم تتحول للهجوم. وإذا فشلوا فإنهم يلجأون إلى الأسلحة النووية.

وهكذا كما استنتج ستارى خطأ (لقد أيقنت أننا يجب أن نؤخر ونعرقل فى عمق أرض المعركة للعدو التقدم العادى وليس علينا أن ندمرهم، نعم سيكون حسنا أن نفعل ذلك، ولكن كل ما علينا أن نفعله هو منعهم من الوصول إلى المعركة وبذلك لا يمكنهم إغراق المدافعين).

الدفاع النشط ACTIVE DEFENSE

إذا كان قد أمكن إيقاف الحشود السورية المزودة بأسلحة سوفيتية بواسطة قوات إسرائيلية أقل حجما والتى أمكنها القيام بعملية تطويق غير عميق فلماذا لا يمكن إيقاف حشود سوفيتية وأوروبية شرقية بواسطة قوات حلفاء أصغر، دون استخدام الأسلحة النووية ؟ هكذا فكر ستارى فى الحقيقة يجب أن تطبق الدروس المستفادة من أجزاء أخرى من العالم.

متأثرا بكارثة فيتنام كان هذا التغيير هاما لدرجة كبيرة فقام جيش الولايات المتحدة بخلق قيادة التدريب والعقيدة (TRAINING AND DOCTRINE COMMAND) بقيادة الجنرال وليم ديبوى. وبعيدا عن علم الكثيرين من الناس تقوم هذه القيادة TRADOC بإدارة نظام تعليمى كبير فى العالم غير الشيوعى. وهى تدير ما يعادل ما يفعله الكثير من المنافسين للضباط، وذلك إلى جانب مئات مراكز التدريب وهى تعطى اهتماما كبيرا لأمور مثل تعلم نظرية تكنولوجيات التدريب المتقدم، ولكنها تقوم أيضا

بتوفير التدعيم النظرى لفكرة الجيش عن الحرب وداخل قيادة التدريب والعقيدة، خلال عام أو عامين من إنشائها، بدأ عصر ما بعد فيتنام يتخمر.

فى عام ١٩٧٦، تقريبا فى الوقت الذى كان فيه ستارى فى ألمانيا، أصدرت قيادة التدريب والعقيدة عقيدة جديدة للجيش أطلق عليها (الدفاع النشط)[١] بناءً على الخبرة المستقاة من إسرائيل وكذا من مخرجات ستارى تمت مناقشة تعميق أرض المعركة[٢] - ضرب ليس فقط النسق الأول للقوة السوفيتية الغازية ولكن أيضا استخدام أسلحة ذات تكنولوجيا عالية وذات مدى أكبر لتدمير النسق الثانى وأى قوات دعم كذلك.

كانت هذه العقيدة خطوة على الطريق الصحيح حسب اهتمامات ستارى، ولكن النسق الثانى للجيش الأحمر المتقدم لم يكن هو المشكلة الوحيدة، ماذا عن النسق الثالث والنسق الرابع والأنساق التى تلى ذلك؟

تغيير البنتاجون CHANGING THE PENTAGON

إن الحاجة إلى إعادة صياغة الفكر كانت لا تزال مسيطرة على ستارى عندما - فى عام ١٩٧٧ - حصل على ترقية وتم إرساله لقيادة TRADOC (قيادة التدريب والعقيدة). كان ستارى دائما حريصا على إعطاء الثقة فى عقيدة الدفاع النشط، ولكن فى الوقت ذاته يوجد خلاف بينهم بالنسبة لمسألة الدفاع ضد الهجوم، إن ما كان يحتاجه ستارى لم يكن مجرد تغيير إضافى ولكن إعادة تفكير شامل لعقيدة جيش الولايات المتحدة من أساسها.

---

(١) إن نظرية الدفاع النشط معروفة لكل جيوش العالم المتطورة بما فى ذلك الجيش المصرى ومن المؤكد أنها أيضا من عناصر العقيدة الشرقية.

(٢) من المعروف علميا إن منع الأنساق الثانية من الدفع فى المعركة أحد المبادئ الهامة فى الفن التعبوى والاستراتيجية.

علاوة على ذلك بينما كان الجدل حول هذه المسائل دائرًا بين العسكريين كان المجتمع الأمريكى، الذى يعتبر العسكريون جزءًا منه، يتعرض نفسه إلى تغيير عميق فلقد كان الجو معبأ بأفكار واحتمالات جديدة، وبدأ جيش الولايات المتحدة تطورا موازيا، ورغم أن العالم الخارجى بقى غير مدرك لهذا التغيير تم اتخاذ الخطوات الأولى لتكوين نظرية حرب الموجة الثالثة.

إن محاولة ستارى لفرض إعادة التفكير جعلته يتحدى بعض الاستنتاجات الحيوية لحرب الموجة الثانية، لقد أجبرته على القيام بدور الثورة العقائدية مثيرا لعملية لازالت صورتها تتخذ اتجاهات جديدة.

ومع ذلك فإن تغيير أى عقيدة عسكرية تشبه محاولة إيقاف دبابة بإطلاق نبات مستنقعات عليها MARSH MALLOWS إن العسكرية، مثلها مثل أى بيروقراطية حديثة، تقاوم التحديث - وخاصة التغيير الذى يحتم خفض مكانة وحدات معينة والحاجة إلى تعلم مهارات جديدة وتجاوز تنافس الأفرع.

ولتحديد معالم عقيدة جديدة واكتساب الدعم لها من كل من القوات المسلحة والسياسيين، يتم تطبيقها عمليا بقوات مدربة وتكنولوجيا مناسبة، وحشد من الرجال، وأفكار بمثابة الطلقات مع المثقفين العسكريين.

وكان المفتاح لهذا الجهد هو إعادة اختيار العقيدة القديمة المسيطرة بكل جوانبها، إن مناقشة ذلك كانت تعنى إعادة بحث ودراسة، ويحتمل تغيير كل بناء القوات بالجيش - وهذا يعنى حجمه وتكوينه وعدد الوحدات به، كما أنه كان يعنى إجراء ذلك فى وقت كانت فيه العقيدة السوفيتية الرسمية ولا زالت تسمى (قوة الحشد واستمرار العمليات البرية)، حقا إن

مناقشة فكرة الحشد لم تخلق فقط فى وجه العقيدة العسكرية ولكنها جـرت عكس روح الجماعة فى مجتمع الصناعة المكثفة.

وفى اجتماع تم فى عام ١٩٨٢ قال لنا: (إن الجيش يصعـب تغيـيره إلى حد كبير، ومع ذلك إنه.. مؤسسة موجة ثانية إنه مصنع، كانت الفكرة أن مصانعنا ستنتج وتنتج، وتنتج أسلحة وسـيقوم الجيـش بتمريـر رجالـه فـى مصانع تدريب. ثم بعد ذلك سيجمع بين الرجال والأسلحة معـا وسيكسـب الحرب، إن كل طريق الاقتراب هو الموجة الثانية، إن الأمر يحتاج نقلة إلى عالم الموجة الثالثة).

لتنفيذ هذه المهمة احتاج ستارى لدعم مؤيديه، وحصل عليه من الجنرال ى س ماير الذى كان آنـذاك رئيسـا لأركـان الجيـش، ومـن القـائد السـابق لقيادة التدريب والعقيدة بيل ديبوى، ومن الجنرال ابرامز وغيرهم، لقد أكد هؤلاء الرجال لستارى أن الخلافات لـن تعتـبر عـدم ولاء، لكونـهم مـازالوا متأثرين بمأساة فيتنام فلقد فهموا كذلك أن التفكير الجديد حيوى.

واحتـاج سـتارى أيضـا إلى ضبـاط متطوريـن مثقفـين فـى هيئـة قيادتـه، ساعدوا فى تحديد المشاكل ووضع التطبيقات لأى تغيير فى العقيدة.

واتخذ ستارى أيضا خطوات لتحديث تطور العقيدة، وفعـل ذلـك بخلـق منصب جديد هو نائب رئيس الأركان للعقيدة، وفى يـوم مـن الأيـام وُضِـعَ دون موريللى على رأس المكتب الجديد لتكوين العقيدة.

وقام ستارى وموريللى ومجموعة صغـيرة مـن الضبـاط بتشـكيل مجموعـة تفكير عائمة لقيادة التدريب والعقيدة.

وبينمـا كـانوا يشـكلون أفكـارهم عـن الأسـلحة والتنظيـم والإمـداد بالاحتياجات والحرب الإلكترونية وتهديد الأسلحة النووية وأهمية المنـاورة

بالحرب الثابتة سافر ستارى وموريللى - بكثرة - فى محاولة لتجربة أفكارهم فى تلقينات لمستمعين عسكريين فى كل أنحاء الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا. وأدت الأسئلة والنقد إلى زيادة حدة عقولهم.

تركيز ستارى على فكرة (المعركة العميقة) (DEEP BATTLE) أو أرض المعركة الممتدة EXTENDED BATTLE FIELD يعنى أن القتال لا يجب أن يجرى ببساطة فى مكان على الجبهة ولكن فى عمق أراضى العدو فى نفس الوقت فى الخلف حيث يمكن اكتشاف الأنساق الثانية التى ستدفع فى المعركة، وكان ضروريا اعتراض تحرك الرجال والإمدادات والمعلومات حتى يمكن منع الأنساق الخلفية من تدعيم القوات القائمة بالغزو[1]

إن الضربات الجوية فى العمق قد تكون مطلوبة لتدمير مراكز قيادة الخصم وخطوط إمداداته وخطوط مواصلاته ودفاعه الجوى، وهذا بدوره يتطلب التنسيق الجيد القريب بين القوات الجوية والقوات الأرضية ولكن توجد عناصر فى القوات الجوية شككت فى مثل هذه المناقشة، وكان الأمر يبدو لهم (ولبعض ضباط القوات الجوية فى الوقت الحاضر) أن الجيش كان يهاجم القوات الجوية فى محاولة لإلقاء عبء الاعتراض على عاتق القوات الجوية.

وخلال تطوير العقيدة كان على ستارى أن يجيب عن أسئلة حول التطبيق، ما هى نوعية الجندى والضابط التى يحتاجها الأمر فى المستقبل؟ وما هى التكنولوجيات التى يحتاجونها؟

---

(١) أوضح حقيقة معروفة فى معظم العقائد العسكرية وهى استخدام كل الوسائل المكنة لضرب الأنساق الثانية على طريق الاقتراب ومنعها من أن تدفع فى المعركة وهو مبدأ معروف ومطبق فى العقيدة العسكرية المصرية.

ولقد كلفت قيادة التدريب والعقيدة بتحديد أنواع الأسلحة وتكنولوجيات يحتاجها الجيش فى المستقبل، وعليه فإن قيادة التدريب - والتعبئة - واقعيا ساعدت على تحديد المطالب للدبابة م-١ ابراهام والهليكوبتر اباتشى ومركبة القتال المدرعة برادلى والصاروخ باتريوت - أسلحة لم يتوقف إنتاجها فى الوقت الذى ساد فيه J. STARS نظام الرادار المحمول جوا الذى حدد المعلومات اللازمة عن الأهداف وتوصيل المعلومات إلى المحطات الأرضية خلال عاصفة الصحراء، إن الـMRLS أو النظم متعددة الأدلة التى حددتها قيادة التدريب والعقيدة منذ سنوات مضت قد تكون لازمة لتطبيق عقيدتها القتالية الجديدة للمستقبل، وكانت عبارة عن كتيب صغير بعنوان «المعركة البرية الجوية وفيالق ٨٦، كتيب قيادة التدريب والعقيدة ٥ - ٥٢٥ وكانت أوراقا ابتدائية استخدمها موريللى فى برنامج محاضراته الكثيف.

لقد خرجت فكرة المعركة البرية الجوية إلى العلن - موضوعًا لتحليل خارجى وهجوم ونقد ليس من السياسيين والتقليديين فى العسكرية الأمريكية فحسب بل أيضا فى كثير من دول حلف شمال الأطلنطى NATO فى أوروبا الذين نظروا إليها ليس كطريقة لتفادى الحرب النووية ولكن مجرد مبادرة أمريكية جريئة.

إن عقيدة ستارى - موريللى ركزت على التنسيق الدقيق بين الأعمال الجوية والأعمال البرية، والضربات الجوية فى العمق لمنع النسق الأول والثانى وباقى الأنساق من الوصول إلى أرض المعركة - وبصورة خاصة - استخدام التكنولوجيات الجديدة لإصابة الأهداف التى كانت قبل ذلك من اختصاص الأسلحة النووية. وبالقيام بذلك قللت من فرصة حدوث مواجهة نووية.

وبالتركيز على الدرس الذى خرج به ستارى من مرتفعات الجـولان فـإن كتاب، خدمة الميدان الجديد، حث الضباط والجنود علـى الاسـتيلاء علـى المبادرة - الاستمرار فى الهجوم التكتيكى أو التعبوى حتى فى حالة الدفاع الاستراتيجى، وحتى إذا نجح عدو قوى فى الاختراق، كما فعل السـوريون فى بدايـة الأمـر، يجـب أن توجـه الهجمـات المضـادة المفاجئـة ضـد نقـاط الضعف بدلا من الهجوم المضاد وبالمواجهـة ضـد النقـط الرئيسـية للاخـتراق، وفى النهاية ركزت العقيدة الجديـدة علـى الحاجـة إلى نوعيـة مرتفعـة مـن البشر - ليس فى القيادة فحسب ولكن أيضا التدريب على رفع قدرات كـل جندى.

منذ بداية ظهور المعركة البرية الجوية لأول مرة فإن العقيدة تم تحديثها وتدقيقها وتغيير تسميتها.

لقد ركزت على القدرة على إظهار القـوة علـى مسـافات بعيـدة وبسـرعة عاليـة، لقـد ركـزت علـى الحاجـة إلى عمليـات مشـتركة مـن كـل الأفـرع وعمليات مشتركة مع قوات الحلفاء، لقد نادت بمبدأ (رؤية أكـبر للمبـادأة) واعتماد أكبر على نوعية الجنود.

ونادت بشن هجمات منسقة متزامنة ومسيطرة على تنفيذهـا فـى الوقـت الحقيقى، وكان على القادة السـيطرة علـى معـدلات القتـال. وفـى النهايـة تصبح المعرفة - استطلاع - ومواصلات متطورة - ذات أهمية قصوى.

أدت التغيرات المتسـارعة بشـدة فـى الموقـف العـالمى هـذه الأيـام إلى أن أعادت صياغة العقيدة التى عادة ما كانت تستغرق مـن أربعـين إلى خمسـة وأربعين عاما أصبحت ضرورية أن تتم فى سـنة أو سـنتين وهكـذا فـى ١٤ يونيو ١٩٩٣ ظهرت آخر مراجعة لكتاب خدمـة الميـدان ٥ - ١٠٠ FM إن الخبرة الحديثة التى أعطتنا نظرة خاطفة عن الطرق الجديدة للحرب تعلـن عن ملخص تنفيذى لأحدث عقيدة.

«كانت نهاية حرب العصر الصناعى وبداية لشئون الحرب فى عصر المعلومات».

هذا الشكل الحديث يركز إلى حد بعيد على تعددية الجوانب - قدرة الجيش على التحول من نوع إلى آخر بسرعة. إنه يتحول من بؤرة أوروبية إلى بؤرة عالمية ومن فكرة الفتح الأمامى إلى فكرة تمركز قوات أمريكية بحيث يمكنها أن تذهب إلى أى مكان فى العالم بسرعة. إنها تتحول من وضع سابق كانت فيه تركز على التهديد بنشوب حرب عالمية مع السوفييت إلى التركيز على الصدامات الإقليمية المحتملة. وبالإضافة إلى ذلك تكرس العقيدة الجديدة انتباهها على ما أطلقت عليه: «عمليات عسكرية وليست حربا» والتى بدورها تشمل مواجهة الكوارث، والإضرابات المدنية، وحفظ السلام، والأنشطة المضادة للإرهاب.

لفهم كل ما سيرد بعد ذلك يجب أن ننظر إلى تأثير هذا العمل على الحرب التى تعكس بصورة خارقة للطبيعة بزوغ صورة جديدة للاقتصاد - النظام الثورى للموجة الثالثة بالنسبة لخلق الثورة.

الطريقة التى نصنع بها الثروة
THE WAY WE MAKE WEALTH

فى عام ١٩٥٦ أطلق الرجل القوى السوفيتى نيكيتا خروشوف تفاخره الشهير «سندفنكم» وما كان يعنيه هو أن الشيوعية ستتفوق على الرأسمالية اقتصاديا فى السنوات التالية. ولقد حمل هذا التبجح معه التهديد بالهزيمة العسكرية كذلك.

إن ما لم يعرفه خروشوف (ومعظم الأمريكيين) أن عام ١٩٥٦ كان أيضا أول عام تفوق فيه عدد من ذوى «الياقات» البيضاء والموظفين على عدد الياقات الزرقاء من عمال المصانع فى الولايات المتحدة - وهو دلالة مبكرة على أن اقتصاد مدخنة الموجة الثانية بدأ يذوى وأن اقتصاد الموجة الثالثة قد يولد وقبل مضى وقت طويل بدأ عدد من المستقبلين والرواد الاقتصاديين فى تتبع نمو المعرفة فى جامعات الولايات المتحدة، والاقتصاديون ويحاولون التنبؤ بتأثيرها على المدى الطويل، وبحلول عام ١٩٦١ طلبت شركة آى بى ام IBM من أحد المستشارين إعداد تقرير عن التطبيق الاجتماعى والتنظيمى بعيد المدى لميكنة ذوى الياقات البيضاء (ولازالت الاستنتاجات من هذا التقرير صالحة للتطبيق اليوم). وفى عام ١٩٦٢ نشر الاقتصادى فريتز ماشلوب دراسة مثيرة، «الإنتاج والتوزيع للمعلومات فى الولايات المتحدة».

وفى عام ١٩٦٨ قامت AT&T (التى كانت آنذاك أكبر شركة قطاع خاص) بالإنفاق على الدراسة للمساعدة فى إعادة تحديد مهمتها. وفى عام ١٩٧٢ أى قبل حلها بواسطة حكومة الولايات، تلقت ذلك التقرير - وثيقة متطرفة تحث الشركة على إعادة بناء نفسها.

وحدد التقرير الطرق التى يجب أن تتبعها بيروقراطية الموجة الثانية فى تحويل نفسها إلى منظمة سريعة الحركة سريعة المناورة. ولكن AT&T تكتمت التقرير لمدة ثلاث سنوات قبل أن تسمح بتمريره إلى الإدارة العليا. ولم تكن الشركات الرئيسية الأمريكية قد بدأت تفكر فيما وراء التورط فى إعادة التنظيم.

وهكذا فى نفس الإطار الذى كان ستارى ومؤيدوه قد بدءوا فيه إعادة تشكيل الفكر العسكرى الأمريكى بدأت كذلك كثير من الشركات العملاقة الأمريكية تضع الخطط بحثا عن مهام جديدة وبناء تنظيمى جديد. ولتقدير التغيرات الأكثر دراماتية المتوقعة فى المستقبل نحتاج إلى النظر فى عشر صور حيوية لاقتصاد الموجة الثالثة.

١ - عوامل الإنتاج FACTORS OF PRODUCTION

فى الوقت الذى كانت فيه الأرض والعمل والمواد الخام ورأس المال هى العوامل الرئيسية للإنتاج فى اقتصاد الموجة الثانية فى الماضى فإن المعلومات - ونعنى بها هنا البيانات والمعلومات والصور والرموز والثقافة والأيديولوجية - هى المصدر المركزى لاقتصاد الموجة الثالثة.

إن مدخلات المعرفة الحقيقية يمكنها خفض مطالب العمل وخفض المخزون وتوفير الطاقة وتوفير المواد الخام وتخفيض الوقت والمكان والمال اللازم للإنتاج.

آلة قطع تعمل بالحاسب الإلكترونى تعمل بدقة متناهية وينتج عنها فاقد أقل من القماش والصلب عملية ذكية آلية تطبع وتغلف الكتب تستخدم ورقا أقل من الآلات ذات القوة الغاشمة التى حلت محلها. وسيلة ذكية لتوفير الطاقة بتنظيم الحرارة فى مبانى المكاتب. نظم بيانات

إلكترونية تربط الصناع بزبائنهم تقلل من حجم البضائع – من المكثفات الكهربائية للملابس القطنية – تلك التى يجب إبقاؤها فى الخدمة.

وعلى ذلك فالمعرفة المستخدمة بأسس سليمة تصبح البديل الأمثل للمخرجات الأخرى. المعرفة الآن هى أكثر تعددا وأكثر أهمية من بين كل عوامل الإنتاج بغض النظر عن إمكانية قياسها من عدمه.

إن ما يجعل اقتصاد الموجة الثالثة ثوريا حقيقيا أن الأرض والعمل والمواد الخام وربما حتى رأس المال يمكن اعتبارها مصادر محدودة أما المعرفة فليست محدودة.

٢ – قيم غير ملموسة INTANGIBLE VALUES

فى الوقت الذى قد يمكن فيه قياس قيمة أى شركة للموجة الثانية عن طريق الممتلكات الملموسة مثل المبانى والآلات والمخزونات وقوائم الجرد فإن قيمة الشركات الناجحة فى الموجة الثالثة تكمن فى قدرتها على الحصول على توليد وتوزيع وتطبيق المعرفة استراتيجيا وعمليا.

إن القيمة الحقيقية لشركات مثل كومباك COMPAC أو كوداك أو هيتاشى أو سيمنس تعتمد بصورة أكبر على الأفكار ونفاذ البصيرة والمعلومات التى فى رءوس العاملين بها وفى بيانات البنوك وبراءات الاختراعات التى تسيطر عليها هذه الشركات بدلا من اللوارى وخطوط التجميع وغير ذلك من الموجودات المادية التى تكون لديها. وعليه فرأس المال ذاته هو الآن يعتمد بصورة متزايدة على غير الملموس.

٣ – عدم التضخيم DE - MASSIFICATION

إن الإنتاج الكبير (MASS PRODUCTION) والخواص المحددة لاقتصاد الموجة الثانية تصبح متقادمة بصورة متزايدة طالما لازالت الشركات

تحصل على معلومات - كثيرة وغالبا نظم تصنيع مميكنة قادرة على إنتاج أشياء مختلفة لا نهاية لها رخيصة بل تصنع حسب طلب الزبون. إن النتيجة الثورية هى - فى الواقع - عدم تضخيم الإنتاج الكبير.

إن التحول نحو التكنولوجيا المرنة الذكية تشجع التنوع وتغذى اختيار الزبون إلى الحد الذى فيه يمكن لمحل وال - مارت أن يقدم للمشترى حوالى ١١٠٠٠٠ منتج فى صور مختلفة وأحجام مختلفة وأنواع وألوان مختلفة ليختار من بينها.

فالمحلات المتخصصة والبوتيكات والسوبر ماركت، ونظم التليفزيون للتسويق المنزلى، وقاعدة الشراء المبرمجة، والبريد المباشر وغير ذلك من النظم توفر تنوعا للقنوات من خلالها يمكن للمنتجين توزيع محلات البيع (التابعة لهم) للزبائن فى أسواق غير كبيرة بصورة متزايدة.

خلال ذلك كان الإعلان موجها إلى قطاعات أصغر وأصغر من الأسواق تم الوصول إليها بنجاح من خلال الإعلام غير المكثف. إن عدم كثافة المتزامن للإنتاج والتوزيع والمواصلات أحدثت ثورة فى الاقتصاد وتحوله من اقتصاد متجانس إلى اقتصاد غير متجانس إلى حد بعيد.

٤ - العمل WORK

لقد تبدل العمل نفسه. فالعمل غير الماهر التبادلى العضلى قاد الموجة الثانية.

إن القوة العضلية يمكن استبدالها. وعليه فالعامل المنخفض المهارة الذى يترك العمل أو يفصل يمكن إيجاد بديل له بسرعة وبتكلفة قليلة. وعلى العكس فإن المستويات المتنامية للمهارات الخاصة المطلوبة فى اقتصاد الموجة الثالثة تجعل إيجاد الشخص المناسب ذى المهارة المناسبة أصعب

وأكثر تكلفة. وعلى من (هو أو هى) قد تواجه منافسة من كثير من العمال العضليين العاطلين، وبواب يفصل من شركة دفاع عملاقة يمكنه أن يعمل كبواب فى مدرسة أو مكتب تأمين. وعلى العكس مهندس إليكترونات قضى سنوات فى صناعة الأقمار الصناعية لن تكون - على الأرجح - مهارات مطلوبة لشركة هندسة بيئية. وطبيب أمراض نساء لا يمكنه إجراء عملية فى المخ. إن نمو التخصص والتغيرات السريعة فى المهارة تتطلب تقليل تبادلية العمل.

٥ - التجديد (الابتداع) INNOVATION

بنجاح اقتصاديات اليابان وأوروبا والخروج من كبوتها نتيجة الحرب العالمية الثانية تواجه الشركات الأمريكية نيران منافسة كبيرة. إن الابتداع المستمر هام للمنافسة - أفكار جديدة للإنتاج، تكنولوجيات، عمليات، تسويق، تمويل. حوالى ١٠٠٠ منتج جديد يتم تقديمها فى السوبر ماركيتات الأمريكية كل شهر. حتى قبل أن يحل طراز الكمبيوتر ٤٨٦ محل الطراز ٣٨٦ كانت الرقائق CHIPS الجديدة قد بدأت فى الظهور. وعليه فإن الشركات الذكية تشجع العمال على أخذ المبادرة والخروج بأفكار جديدة بل حتى إذا تطلب الأمر الاستغناء عن كتاب القواعد (RULE BOOK).

٦ - المقياس SCALE

وحدات العمل تتقلص. ومقياس العمل يصغر مع كثير من المنتجات. فالعدد الضخم من العمال الذين يقومون بنفس العمل العضلى حل محلهم مجموعات عمل صغيرة مميزة. فشركة IBM ذات الـ ٣٧٠٠٠٠ عامل تتعرض للهلاك بواسطة الصناع الصغار فى كل أنحاء العالم. ولكى تعيش

استغنت عن كثير من العمال وانقسمت إلى ثلاث عشرة وحدة عمل مختلفة أصغر فى نظام الموجة الثالثة. فكلما زاد تعقد الشركة كلما تعذر على اليد اليسرى أن تعرف ماذا ستفعل اليد اليمنى. وأمور كثيرة تتداعى. وتنتشر مشاكل قد تتفوق على الفوائد المتوقعة للإنتاج الضخم. إن الفكرة القديمة القائلة بأن الأكبر هو بالضرورة الأحسن أصبحت عادة قديمة بصورة متزايدة.

٧ - التنظيم ORGANIZATION

فى صراعها من أجل تبنى تغييرات ذات سرعة عالية تقوم الشركات بالتسابق فى هدم أبنيتها البيروقراطية للموجة الثانية. إن شركات عصر التصنيع لها جداول تنظيم متماثلة - فجميعها كانت هرمية، ومتراصة، وبيروقراطية. وأسواق اليوم وتكنولوجيات وزبائن اليوم تحتاج التغيير بسرعة كبيرة، وتولد ضغوطا كبيرة على الشركة للتخلص من بيروقراطيتها التقليدية. إن البناء النمطى نسبيا أخلى الطريق لصفوفة التنظيمات، وإتمام المشروع لغرض ما بالذات ومراكز الأرباح إلى جانب التغير النامى للحلفاء الاستراتيجيين، والمشروعات المشتركة والاتحادات - كثير منها تعبر الحدود الوطنية. ولما كانت الأسواق تتغير باستمرار فإن الثبات أقل أهمية من المرونة والمناورة.

٨ - تكامل النظم SYSTEMS INTEGRATION

إن التعقد المتنامى فى الاقتصاد يدعو إلى تكامل أكثر حنكة وإدارة أكثر كفاءة. كان على شركة نابيسكو، شركة أطعمة، أن تلبى ٥٠٠ طلبا فى اليوم لمئات الآلاف من المنتجات المختلفة التى يجب شحنها من ٤٩ مصنعًا، ١٣ مركزَ توزيعٍ وفى الوقت نفسه أن تأخذ فى الاعتبار ٣٠٠٠٠ عقد مبيعات مختلف محتمل مع زبائنها.

إن إدارة مثل هذه المطالب المعقدة يتطلب التكامل المستمر بين القيادة والطلبات. وهذا بدوره يتطلب حجما أكبر، وأكبر من المعلومات يتم تمريرها داخل المنظمة.

٩- البنية الأساسية INFRASTRUCTURE

تتدفق مليارات الدولارات داخل الشبكات الإلكترونية التي تربط بين الحاسبات الآلية وقواعد البيانات وغير ذلك من تكنولوجيا المعلومات مع بعضها البعض، هذا البناء الضخم للمعلومات، الذى يعتمد عادة على الأقمار الصناعية، يربط كل الشركات معا مع ربطها غالبا من خلال شبكات حاسبات آلية للموردين والزبائن أيضا، وتوجد شبكات أخرى تتصل بشبكات، لقد هدفت اليابان إلى إنفاق ٢٥٠ مليار دولار لتطوير شبكات أحسن وأسرع خلال العشرين سنة المقبلة، ونائب الرئيس الأمريكى جور مع بقائه فى مجلس الشيوخ طالب بصدور قانون يوفر مليار دولار على مدى خمس سنوات للمساعدة فى البدء فى (شبكة بحوث وتعليم قومية NATIONAL RESEARCH AND ADUCATION NETWORK تهدف إلى أن تفعل للمعلومات ما فعلته الطرق العامة، SUPERHIGHWAYS للسيارات. مثل هذا الممر الإليكترونى بشكل البنية الأساسية الحيوية لاقتصاد الموجة الثالثة.

١٠- التسارع ACCELERATION

كل هذه التغيرات تزيد من تسارع خطوة العمليات والصفقات، إن اقتصاديات السرعة تحل محل اقتصاديات المقياس، إن التنافس شديد لدرجة أن القاعدة القديمة (الوقت من ذهب (TIME IS MONEY) تم تطويرها إلى (كل فاصل زمنى يستحق أكثر من الفاصل الزمنى السابق له)،

لقد أصبح الوقت متغيرا حيويا يقول دى واين بيترسون وهـو تنفيـذى كبـير فى شركة ميريللى لينش MERELLILYNCH (إن النقـود تتحـرك بسـرعة الضوء، وعلى المعلومات أن تتحرك أسرع من ذلك) وعليـه فالتسـارع يدفـع أعمال الموجة الثالثة أقرب وأقرب من الوقت الحقيقى بالنظر إلى هذه المعالم العشرة الخاصة باقتصاد الموجة الثالثة كلها معا إن تغيير الولايات المتحـدة واليابان وأوروبا إلى هذا النظـام الجديـد، رغـم إنـه لم يكتمـل بعـد، يمثـل التغير الوحيد الهام فى الاقتصاد العالمى هذا التغيير التاريخى الذى اكتسب السـرعة فـى أوائـل ومنتصـف السـبعينات تطـور بصـورة مناسـبة بحلـول التسعينات، وخلال هذه الفترة بدأت الحرب ذاتها فـى التحـول إلى عربـة ذات عجلتين (TANDEM)، وحرب الموجة الثانية مثلها مثل اقتصاديـات الموجة الثانية كانت تتسابق تجاه التقادم.

حرب الموجة الثالثة

THIRD WAVE WAR

حدث شيء ليلا في سماء وعلى رمال الصحراء في الشرق الأوسط عام ١٩٩١ – شيء لم يشهده العالم لمدة ثلاثمائة عام – ألا وهو وصول شكل جديد للحرب يعكس عن قرب شكلا جديدًا لطريقة خلق الثروة. ومرة أخرى نجد أن الطريقة التى نصنع بها الثروة والطريقة التى نصنع بها الحرب ترتبطان ببعضهما البعض دون فكاك.

حتى معظم الاقتصاديات المتقدمة – تلك الموجودة فى أوروبا واليابان والولايات المتحدة – لازالت مقسمة بين عمل عضلى أقل وعمل عقلى متنام. هذه الثنائية انعكست بشدة فى طريقه القتال التى تمت بها حرب الخليج ١٩٩٠ – ١٩٩١

ومع ذلك قد يقوم التاريخ أخيرا بتقييم الصدام بلغة الأخلاق أو الاقتصاديات أو الجغرافيا السياسية، والطريقة الحقيقية التى تمت بها إدارة الحرب – ولازالت – تظهر أبعادا عميقة للجيوش وللاقتصاديات فى كل أنحاء العالم.

وما ليس مفهوما بوضوح حتى الآن هو أن الولايات المتحدة وحلفاءها قاتلت فى آن واحد شكلين مختلفين من الحروب، شكلاً خاصًا بالموجة الثانية وشكلا خاصا بالموجة الثالثة. لقد بدأ بحر الدماء فى الخليج فى الثانى من أغسطس ١٩٩٠ بقيادة صدام حسين بالهجوم على جارته الكويت. لقد بدأ صدام بالدم.

وفى الأشهر التى تلت عندما قامت الولايات المتحدة وحلفاؤها بإجراء حوار عن كيف يتم الرد، وزعم صدام أن الحلفاء سيجدون أنفسهم ممزقين فى الأرض فى معركة (أم المعارك) ولقد التقط علماء وسياسيون فى الإعلام العالمى فكرة صدام الرئيسية وتنبئوا بخسائر جسيمة فى قوات التحالف وقدروها بحوالى ٣٠٠٠٠ قتيل بل إن بعض المحللين العسكريين وافقوا على ذلك.

الفوبيا التكنولوجية (المرهاب) TECHNOPHOBIA

فى نفس الوقت شن بعض المعارضين للحرب ما يمكن أن يشبه الحملة فى الإعلام الغربى ضد التكنولوجيا المتقدمة ذاتها. وسرعان ما تردد فى الصحافة العالمية مقالات فوبيا تكنولوجية. إن القاذفة الشبح ستفشل. إن نظارات الرؤية الليلية سوف لا تعمل. إن الدراجين والتاو ستكون عديمة الفائدة ضد المدرعات السوفيتية الموجودة لدى العراقيين. إن الدبابة م - ١ ستثبت أنها غير فعالة وستتعطل بكثرة. هل التكنولوجيا العسكرية سراب؟ إن جريدة نيويورك تايمز تريد أن تعرف.

لقد استبعد أحد أصحاب الأعمدة العسكرية الشهير فكرة أن التكنولوجيا ستحقق حد التفوق فى الحرب. وقال لقرائه إن أسطورة قوة الأمريكيين خطأ جسيم إذا ما تم التركيز على الجانب المادى وليس على القوة البشرية.

كل هذا أضاف الكثير إلى الخوف الجماهيرى المتزايد من الخسائر الضخمة. ومع ذلك كان لدى صدام جيش من مليون رجل مدرب حسب عقيدة سوفيتية ومزود بأسلحة سوفيتية وقد تم اختباره فى معارك وبذل دماء فى حرب دامت ثمانى سنوات ضد إيران. علاوة على ذلك كان أمامه

ثمانية أشهر للتخندق وإنشاء سواتر وملاجئ وخنادق وبث حقول الغام قاتلة. ومن المتوقع أن يقوم العراقيون بإشعال الخنادق المملوءة بالنفط وخلق خط من اللهب غير قابل للعبور. ولتدعيم قوات الخط الأول قام العراقيون بفتح نسق خلف نسق من حجم ضخم من الرجال والمدرعات. وإذا ما تجرأت قوات التحالف البرية على الهجوم فإنها ستهلك. وكان على صدام حسين أن ينتظر فقط أن تنخفض معنويات أمريكا نتيجة صور التليفزيون عن الأعداد الضخمة لأكياس الجثث التى تصل إلى المقابر العسكرية للولايات المتحدة وقد ينهار الحل السياسى، ويحتفظ بالكويت أو على الأقل بمناطقها البترولية الغنية. ومع ذلك فإن هذا التصور يفترض أن الحرب فى الخليج ستكون حربا تقليدية للعصر الصناعى. ورغم أن الأفكار الأساسية للمعركة الجوية البرية (والتنقيحات التى أدخلت عليها أخيرا) كانت فعلا العملة السائدة فى الدوائر العسكرية حول العالم ورغم ما يبدو من خبرات صدام العسكرية فإنه لم يكن يعرف شيئا عن هذه المعركة. فصدام لم يفهم أبدا أن صورة جديدة للغاية للحرب على وشك أن تغير من كل طبيعة الحرب.

الحرب المزدوجة (الثنائية) THE DUAL WAR

منذ البداية كانت هناك حملتان جويتان رغم أنهما متكاملتان والقليلون نظروا إليهما كحملتين منفصلتين.

واحدة استخدمت طرق الاستنزاف التقليدية للحرب الحديثة - حرب الموجة الثانية. فأساطيل من طائرات عمرها ثلاثون عاما قامت بقسوة بقصف جوى بأسلوب السجادة (BOMBED CARPET) (يطلق عليها أيضا القصف المساحى) ضد العراقيين فى ملاجئهم. وتماما كما فى الحروب

السابقة تم إسقاط قنابل غبية أحدثت خسائر مدمرة واسعة وخلقت خرابا ودمرت معنويات كل من القوات العراقية للخط الأول وللحرس الجمهورى المساند لها.

وفى باريس بعد الحرب تحدث الكتاب مع الجنرال المتقاعد بيير جالوا، الذى كان يعمل فى القوات الجوية الفرنسية من قبل ثم مساعدا لقائد حلف شمال الأطلسى وكان مسئولا عن الدراسات الاستراتيجية، ولقد زار جالوا العراق بعد القتال مباشرة وقال لنا: «لقد قدت سيارتى ذات نظام العجلات الأربع لمسافة ألفين وخمسمائة ميل وفى القرى كل شىء كان مدمرا. لقد وجدنا شظايا قنابل يرجع تاريخها لعام ١٩٦٨ متبقية من حرب فيتنام. لقد كان نفس القصف الذى تم منذ نصف قرن فى الحرب العالمية الثانية».

ولكن تم شن حرب من نوع آخر بصورة مختلفة جدًا منذ اليوم الأول. لقد ذُهل العالم منذ اللحظة الأولى لبداية الحرب نتيجة الصور التى نقلها التليفزيون للصواريخ التوماهوك والقنابل الموجهة بأشعة الليزر وهى تبحث وتصيب أهدافها فى بغداد بدقة مدهشة: مراكز قيادة القوات الجوية العراقية، ومبنى إدارة المخابرات العراقية ومراكز رئاسة وزارة الداخلية (شرطة صدام) ومبنى الكونجرس ومراكز قيادة حزب البعث.

وبسبب قدرتها على اختراق مناطق التهديد العالى وإيصال قنابل ذات توجيه دقيق فإن المقاتلات نايت هوك الشبح (والتى تعرف أيضا باسم ف - ١١٧أ) كانت الطائرات الوحيدة التى خصصت لمهاجمة أهداف فى قلب بغداد. ورغم أنها نفذت فقط ٢٪ من إجمالى الطلعات إلا أنها هاجمت ٤٠٪ من الأهداف الاستراتيجية. ورغم كل التنبؤات المتشائمة عادت كلها سالمة.

وخلال الأيام التالية للصدام وضح (أكد) التليفزيون هذه الصورة الجديدة للحرب. فلقد قامت الصواريخ بالمناورة ودخلت من خلال شبابيك سبق تحديدها إلى داخل الملاجئ العراقية التى تختفى فيها الدبابات والقوات العراقية. لقد تم مشاهدة الحرب على شاشات التليفزيون. وكانت النتيجة صورة حية لحرب بدت أقل دموية مضادة تماما للتغطية التليفزيونية لحرب فيتنام التى اكتظت بالأشلاء الممزقة والجماجم المتناثرة والأطفال الذين تعرضوا لحروق بالنابالم. كل ذلك ظهر على شاشات التليفزيون فى غرفة المعيشة الأمريكية. أما الحرب الثانية فتم قتالها بأسلحة موجة ثالثة صممت لتحقيق درجة دقة عالية جدا وتدمير وفقا للطلب وأقل تدمير مصاحب COLLATERAL DAMAGE لقد تم ظهور هذه الحرب.

إن كثيرا من نظم الأسلحة الهامة التى استخدمتها الولايات المتحدة تم بناؤها، كما شاهدنا، لتحقيق مطالب محددة بواسطة قيادة التكتيك والعقيدة لستارى فى العقد السابق للحرب.

على سبيل المثال منذ بداية القتال عكست الحرب أسلوب تفكير ستارى وموريللى عن (المعركة العميقة) و (المنع INTERDICTION) وأهمية المعلومات والأسلحة الذكية.

الجبهة المتلاشية THE VANISHING FRONT

خلال الحرب العالمية الأولى واجه ملايين الجنود بعضهم البعض من خلف التحصينات التى حفرت فى تربة فرنسا. وكانت الخنادق مملوءة بالطين والفئران والقمامة ذات الرائحة الكريهة والغرغرينة، وكانت الخنادق الخطية تمتد لأميال عبر المناطق الريفية خلف موانع من الأسلاك الشائكة.

فى وقت كانت الجيوش كلها تجثم خائفة من رفع الرأس فوق سطح الأرض. وعندما كان يصدر أمر بالهجوم كان على القوات أن تصعد إلى السطح وتواجه عاصفة من نيران المدفعية ونيران الأسلحة الصغيرة.

ولم يشك أحد فى أين كان يقع الخط الأول. ونفس الشىء كان بالنسبة للجنود العراقيين القابعين فى ملاجئهم بالصحراء بعد ثمانين عاما تقريبا من الحرب العالمية الأولى. إن الجبهة لم تعد المكان الذى تحدث فيه المعركة الرئيسية. وتماما كما أطلق على عقيدة المعركة الجوية البرية كان الحلفاء قد قاموا بتعميق المعركة فى كل عناصرها - المسافة والارتفاع والوقت. كانت الجبهة الآن فى المؤخرة وعلى الجوانب وفى الجو. لقد خططت الأعمال لتغطى ١٢ أو ٢٤ أو ٧٢ ساعة مقدما منسقة حسب الوقت والمكان استخدمت الضربات الجوية بعيدة المدى والضربات الأرضية لمنع أو اعتراض تحركات قوات الأنساق الثانية للعدو تماما كما كان الحلفاء يستعدون للقيام به فى ألمانيا فى حالة أى هجوم سوفيتى محتمل. إن شكل حرب الموجة الثالثة الوليد الذى تم تصميمه لنا منذ عشر سنوات بواسطة موريللى فى تلك الغرفة بكريستال سيتى بالقرب من البنتاجون لم يعد مسألة نظرية بعد اليوم. وعندما مضت صور حرب الخليج على شاشات التليفزيون فى العالم لهثنا ونحن نرى الواحدة تلو الأخرى ما كشف عنه موريللى ومن بعده ستارى لنا فى أوائل الثمانينات وهو ما حدث فى واقع الحياة فى التسعينات.

دمر منشآت القيادة والسيطرة للعدو. دمر مواصلاته لتمنع تيار المعلومات لأعلى أو لأسفل فى سلسلة القيادة. استول على المبادأة. اضرب فى العمق. امنع الأنساق الثانية للعدو من دخولها المعركة. أومج العمليات الجوية والبرية والبحرية. نسّق العمليات المشتركة. تجنب الهجوم بالمواجهة ضد

نقط قوية معادية. وفوق كل شيء اعرف ماذا يفعل العدو وامنعه من معرفة ماذا تفعل. إن كل هذا يبدو وكأنه المعركة الجوية البرية والتعديلات التى أدخلت عليها.

ومع ذلك كانت العراق أول تطبيق على نطاق كامل لعقيدة المعركة الجوية البرية المعدلة. وكثيرا ما ردد الجنرال شوارتسكوف (قائد قوات التحالف) عدم تفضيله لمصطلح المعركة الجوية البرية. ومع ذلك فهذا أمر مفهوم. لأن شوارتسكوف كان فنانا تنفيذيا مبدعا. ومع ذلك لا ننقص من حقه شيئا إذا قلنا إن ستارى وموريللى كانا مؤلفين خارج المسرح كتبا منذ عقد من الزمن نتيجة الانتصار العسكرى للتحالف.

عندما قابلنا دون موريللى لأول مرة كان يفهم فعلا أن التغيرات فى الاقتصاد والمجتمع كانت تعمل فعلا فى الفكر العسكرى. فالمعركة، كما شاهدنا، بدأت تصبح المفتاح للإنتاج للقيمة الاقتصادية. وما فعله ستارى وموريللى، دون أن يكون ذلك واضحا، هو وضع المعرفة فى قلب الحرب أيضا. وعليه فحرب الموجة الثالثة، كما رأينا فى حرب الخليج، شاركت فى كثير من خصائص الاقتصاد المتقدم.

١ – عوامل التدمير FACTORS OF DESTRUCTION

تماما كما لا ينكر أحد أبدا أهمية المواد الخام والعمل بالنسبة للإنتاج فإنه سيكون من السخف إهمال العناصر المادية فى القدرة على التدمير. ولا يوجد وقت لم تكن فيه المعرفة هامة فى الحرب.

ومع ذلك فهناك ثورة تبدو وتضع المعرفة بصورها المختلفة فى قلب القوة العسكرية وفى كل من الإنتاج والتدمير تقوم المعرفة بتقليل الطلب على مدخلاتها.

كتب ألان دكامبن يقول: «لقد بدأت المعرفة تنافس الأسلحة والتكتيكات فى الأهمية، وتعطى مصداقية لفكرة أن العدو يمكن إجباره على الركوع (الاستسلام) أساسا من خلال تدمير وإرباك وسائل القيادة والسيطرة له».

أحد المؤشرات على أن عنصر المعرفة تزايدت أهميته فى الحرب هى الحفظ فى الحاسب COMPUTERIZATION أو (الميكنة) وطبقا لكامبين: «عمليا كل جانب من جوانب الحرب أصبح الآن آليا، ويتطلب قدرة على نقل كميات كبيرة من البيانات فى صور وأشكال مختلفة». وبنهاية عاصفة الصحراء كان هناك أكثر من ٣٠٠٠ حاسب فى منطقة الحرب (عمليا) ترتبط مع حاسبات فى الولايات المتحدة.

ويشير كامبين إلى أن: «معظم أعمال مستوى القاعدة أصبح مميكنا (آليا) فى قواعد جوية ثابتة. فالإمداد بالاحتياجات وأعمال الصيانة والإصلاح يتم تنفيذها روتينيا من حاسبات على الخط الطائر».

طار فوق الخليج اثنان من أكثر أسلحة المعلومات قوةً من بين كل الاواكس والـ J – STARS طائرة بوينج ٧٠٧ معبأة بالحاسبات وأجهزة الاتصالات ورادار ومستشعرات – الاواكس (نظام إنذار وسيطرة محمول جوا) قامت بمسح الأجواء فى ٣٦٠ درجة فى كل الاتجاهات لتكتشف طائرات العدو أو صواريخه وترسل بيانات الأهداف إلى طائرات الاعتراض والوحدات الأرضية.

يقول اللواء توماس س سوالم من القوات الجوية الأمريكية إن نظام J – STARS أمد القادة الأرضيين بصورة عن تحركات العدو التى حدثت على بعد ١٥٥ ميلا فى كل الظروف والأحوال الجوية. لقد نفذت طائرتان J – STARS عدد ٤٩ طلعة وحددت أكثر من ألف هدف شاملة قوافل ودبابات ولوارى وناقلات جند مدرعة وقطع مدفعية وقامت بالسيطرة على

٧٥٠ طائرة مقاتلة. ويقول سوالم: «لقد حققت الطائرات التى وجهتها J - STARS معدل ٩٠٪ نجاح فى اكتشاف الأهداف فى أول مرور لها».

فى الوقت الذى كانت فيه قوات التحالف مشغولة فى تجميع وتحليل وتوزيع المعلومات كانت مشغولة كذلك بتدمير قدرات المعلومات والاتصالات للعدو. «وكان لذلك تأثير إما فى إسكاتها أو إجبارها القيادة العراقية على استخدام النظم الاحتياطية BACKUP SYSTEMS المعرضة للتصنت عليها التى توفر معلومات مخابرات قيمة» وتزاوجت هذه الهجمات مع ضربات مباشرة ضد مراكز القيادة العسكرية والسياسية لصدام صممت لتدمير وعزل القيادة العراقية وعزلها عن قواتها فى الميدان.

ومع نمو فهم ذلك يقفز إلى السطح الاعتراف فى كل أنحاء العالم باقتصاد قوة العقل مثل ذلك فى الولايات المتحدة واليابان وأوروبا، والذى يلمح بعسكرية تعتمد على العقل. حقا، كما سنرى فى القريب، حتى الدول المتخلفة تكنولوجيا تتسابق فى زيادة عناصر المعرفة الكثيفة فى عسكريتها.

إن نكهة التفكير الجديد تم التعبير عنها بصورة ممتازة بواسطة فاطمة ميرسين (وهى متخصصة فى علم الاجتماع ومؤيدة للمساواة بين الجنسين مسلمة متقدمة انتقدت دور الولايات المتحدة فى حرب الخليج). وأوضحت ميرسين أن «تفوق الغرب لا يرجع أساسا لمعداته العسكرية بقدر ما هو أن عسكريته تعتمد على المعامل وأن قواته هى العقول وجيوش الباحثين والمهندسين».

وقد يأتى اليوم الذى يحمل فيه جنود أكثر الحاسبات بدلا من البنادق. لقد بدأت وزارة الدفاع الأمريكية العمل فى هذا الاتجاه عام ١٩٩٣ عندما وقعت القوات الجوية الأمريكية عقدا بعدد يصل إلى ٣٠٠٠٠٠ حاسب شخصى.

وباختصار فإن المعرفة الآن هى المصدر الرئيسى للتدمير، تماما كما هى المصدر الرئيسى للإنتاجية.

٢ - قيم غير ملموسة INTANGIBLE VALUES

إذا كان ما نادى به ستارى وموريللى الاستيلاء على المبادرة، ووسائل اتصال ومخابرات أحسن، وجنود أحسن تدريبا، وأقوى دفاعًا، وكل ذلك له أهمية أكثر من مجرد الإعداد، فإن التوازن العسكرى قد يتحدد بواسطة عوامل غير ملموسة ونوعية بدلا من العوامل التقليدية، وأسهل فى حساباتها من العوامل التى تعود عليها قادة الموجة الثانية.

يعتبر معهد الدراسات الاستراتيجية الدولية أحسن المصادر العالمية وأكثرها صحة بالنسبة للبيانات العسكرية.

فكتابه السنوى «التوازن الاستراتيجى» يتأمله بعناية المخططون العسكريون ووسائل الإعلام فى كل أنحاء العالم. وهو يعطى معلومات تفصيلية عن عدد الرجال والدبابات والهليكوبترات والمركبات والطائرات والصواريخ أو الغواصات المتيسرة لدى كل جيش من جيوش العالم. ولقد اعتمدنا نحن عليها بصورة مكثفة. ولكنها تقدم المفاتيح لحل ألغاز عن الأشياء غير الملموسة المتزايدة. وفى المستقبل قد تخبرنا عن حجم القوة الحاسبة أو قدرات الاتصال لدى كل قوة عسكرية.

٣ - خفض التضخيم DE – MASSIFICATION

عندما قابلنا دون موريللى لأول مرة عام ١٩٨٢ لاحظ أن كتابنا «الموجة الثالثة» هو الذى قدم فكرة DE – MASSIFICATION خفض التضخيم.

وقال لنا: «ولكن هناك شىء هام واحد أهملتموه». كل هذا الخفض للتضخيم DE – MASSIFICATION سيحدث أيضا فى العسكرية. وقال

موريللى فى عبارة لا تنسى: «إننا نتحرك نحو تقليل التضخيم فى التدمير بالتوازى مع خفض التضخيم فى الإنتاج». إن صناعة الأدوية تصمم جسما مضادا ذا تجمع واحد يمكنه التعرف على (اكتشاف) مكان الجسم المعادى ويدخل فى مستقبل محدد ويدمره. وإن صناعة الدفاع تصمم صاروخا طوافا (كروز) يمكنه التعرف على ملجأ عراقى ويدخل من مدخله ويدمره. إن الأدوات الذكية فى الاقتصاد تنتج أسلحة ذكية للحرب.

إن صناع الأسلحة يبالغون دائما فى قدرات منتجاتهم. والاتجاه العام للتغيير واضح ولا جدال فيه. فالهدف هو دقة أكثر وأكثر وقدرة على الانتقاء أكثر وأكثر.

على أساس بنائها على نفس قاعدة الميكروواليكترونيات للاقتصاد المدنى يمكن للأسلحة الذكية أن تكتشف الصوت والحرارة والبث الرادارى وغير ذلك من الإشارات الإلكترونية، وتقوم بإدخال هذا التيار من المعلومات خلال برامج تحليلية قوية وتحدد وتتعرف على البصمة المطلوبة لهدف محدد وتدمره. ففى عام ١٨٨١، على سبيل المثال، أطلق أسطول بريطانى ٣٠٠٠ طلقة على قلعة مصرية بالقرب من الإسكندرية، ولم تصب الهدف سوى ثمانى طلقات فقط.

وحديثا فى حرب فيتنام نفذ الطيارون الأمريكيون ٨٠٠ طلعة وفقدوا عشر طائرات فى محاولة فاشلة لتدمير كوبرى تانه هاو. بعد ذلك قامت أربع طائرات ف - ٤ مزوده بأول قنابل ذكية نجحت فى تنفيذ المهمة فى مرور واحد.

وفى فيتنام كان على طاقم دبابة أمريكية م - ٦٠ أن يجد ساترا ويوقف الدبابة ويصوب قبل أن يطلق النيران. وعلى مسافة ١٢٠٠ ياردة ليلا كانت الفرصة لإصابة الهدف طبقا لتقرير خبير الدبابات رالف هالينيك «تقريبا

صفر». واليوم يمكن لطاقم دبابة م - ١ أن يطلق النيران دون توقف وباستخدام وسائل رؤية ليلية وليزر، وحاسبات تقوم بإجراء التصحيحات آليا بالنسبة للحرارة والريح والأحوال الأخرى لتؤكد أنه سيحصل على تسع إصابات مباشرة من عشر طلقات واليوم طائرة واحدة ف - ١٧٧ تقوم بتنفيذ طلعة واحدة وتسقط قنبلة واحدة يمكنها تحقيق ما يتطلب ٤٥٠٠ طلعة / طائرة ب - ١٧ يتم خلالها إسقاط ٩٠٠٠ قنبلة خلال الحرب العالمية الثانية أو ٩٥ طلعة، ١٩٠ قنبلة خلال حرب فيتنام.

يقول جيمس ف ديجبى (خبير مؤسسة راند للأسلحة الدقيقة): «ماذا يجعل كل ذلك يحدث، هى أسلحة مبنية على المعلومات بدلا من حجم من قوة النيران. إنها تقلل إلى حد كبير أطنان المتفجرات التى يتطلب الأمر إطلاقها» إن كلماته هذه هى صدى لمديرى الأعمال الذين يستخدمون الحاسبات لتقليل فاقد المواد الخام وتصغير المنتجات، مع تقليل الموجودات وتكاليف النقل.

٤ - العمل WORK

الآن أصبح مفهوما بوجه عام أن الاقتصاد الجديد الذكى يتطلب عمالا أذكياء أيضا. ومع انحدار العمل العضلى حل محل أعداد كبيرة من العمال المهرة أعداد أصغر من عمال على درجة عالية من التدريب وآلات ذكية.

وهذه العملية أيضا توجد على التوازى فى العسكرية حيث تتطلب الأسلحة الذكية جنودا أذكياء. يمكن للقوات فقيرة التعليم أن تقاتل قتالا متلاحما بشجاعة وهو قتال الموجة الأولى، ويمكنهم أن يقاتلوا ويكسبوا حرب الموجة الثانية، ولكنهم يكونون عبئا على جيوش الموجة الثالثة تماما كالعمال الجهلة بالنسبة لصناعات الموجة الثالثة. إن فكرة أن حرب الخليج كانت حربا «عالية التقنية» HIGH - TECH كان فيها العنصر

البشرى فى القتال قد تم استبعاده هى خيال لا حقيقة لأن القوات التى تم إرسالها بواسطة الحلفاء إلى الخليج كانت أحسن جيش متعلم وذى خبرة فنية تم إرساله من قبل فى معركة. نعم إن قيادة التدريب والعقيدة لستارى دربت كثيرا منهم. لقد استغرق الأمر عشر سنوات لإعداد العسكرية للنوع الجديد من حرب مؤسسة على المعركة الجوية البرية. حتى الجيوش المتقدمة ستظل تحتاج إلى نياندرتالات[1] NEANDER-THALS فى رتبتها، كما تم تمثيله فى سوء معاملة النساء خلال مؤتمر تيلهوك TAILHOOK الشائن للبحرية أو انفجار مشكلة الشواذ جنسيا التى لازالت مستمرة حتى الآن. ولكن الطبيعة المتغيرة للحرب تفرض قيمة متنامية على التعليم والخبرة وتركيزا أقل على الآلية العسكرية القديمة والقوة الغاشمة.

إن شعار الستينات «مسألة السلطة QUESTION AUTHORITY» اتخذت جذورا لها فى أماكن بعيدة الاحتمال إلى أبعد الحدود»، كتب ستيفن د. ستارك فى لوس انجيلس تايمز شارحا الروح المتغيرة فى العسكرية الأمريكية. إن الرغبة فى توجيه سؤال أو التفكير قد تكون أكثر انتشارا فى القوات المسلحة الأمريكية عنها فى كثير من الأعمال.

لا شك أن التعليم المتقدم اليوم أكثر شيوعا فى العسكرية عنه فى أعلى مستويات الأعمال. فلقد أظهر مسح حديث بواسطة مركز كارولينا الشمالية للقيادة الخلاقة نه بينما ١٩٪ من كبار المديرين الأمريكيين حصلوا على درجات علمية بعد التخرج فإن ٨٨٪ من العمداء (الجنرالات) حصلوا على تعليم متقدم.

---

(١) نسب إلى وادى النياندرتال قرب دوسلدورف حيث وجدت بقايا هيكل عظمى لإنسان قديم.

وبين الطيارين أصبحت مستويات التدريب الآن أعلى بكثير عنها فى فترات سابقة. وفى الحرب العالمية الثانية كان الطيارون الشبان يدفعون إلى القتال بعد عدد قليل من الساعات فى قيادة كابينة القيادة. واليوم ملايين الدولارات تتفق على تدريب طيارى ف - ١٥ ويستغرق الأمر سنوات من الإعداد وليس أيامًا ولا شهورًا طبقا لكلمات أحد ضباط القوات الجوية الأمريكية: «إن الأسلحة تكون ذكية فقط حسب استخدام الناس لها» إن طيار اليوم ليس ممثلا وحيدا فى كابينة القيادة. إنه جزء من نظام ضخم متداخل معقد يدعمه عمال رادارات فى طائرات الإنذار المبكر (اواكس) يقدمون إنذارا مبكرا عن العدو المقترب، ويدعمه خبراء حرب إلكترونية مضادة على الأرض وفى الجو، وضباط تخطيط ومخابرات، ومحللون للبيانات وأفراد اتصالات عن بعد. إن الطيار (أو الطيارة) فى كابينة قيادته (أو قيادتها) يجب أن يقوم بمعالجة أحجام ضخمة من البيانات وان يفهم (أو تفهم) بالضبط كيف يتوافق مع هذا النظام الكبير الذى يتغير من لحظة إلى أخرى.

وطبقا لاثنين من عقداء القوات الجوية (روزان بيلى، وتوماس كيرنى): «فإن العامل الحيوى الذى يؤدى إلى النجاح فى استغلال التكنولوجيا سيظل العنصر البشرى، كما ظهر ذلك فى أداء طيارى المقاتلات فى عاصفة الصحراء عند استخدامهم الصاروخ AIM - 7. لقد كان هناك أكثر من خمسة تحسينات عما كان عليه الأمر فى فيتنام.. النتيجة المباشرة للتدريب المتطور إلى حد كبير الذى ركز على التدريب الخاص مثل «العلم الأحمر RED FLAG» و «توب جن TOPGUN» واستخدام المحاكيات الفائقة فى محاكاة الواقع التى تستغل تكنولوجيا الحاسبات التى تمتلكها، والأهم من كل ذلك اختيار الشخص المناسب للعمل المناسب».

إن مستوى التعليم النامى واضح بين الرتب الصغرى أيضا. فأكثر من ٩٨٪ من إجمالى المتطوعين بالقوات عندما نشبت حرب الخليج كانوا حاصلين على شهادات متوسطة وهى أعلى نسبة فى التاريخ وكثير منهم كانوا حاصلين على درجات علمية أعلى من ذلك.

وفى كلمات عقيد مشاة الأسطول و. س. جريجسون (زميل عسكرى فى مجلس العلاقات الخارجية) «إن جندى الأسلحة المقاتلة ليس مجرد بغل يحمل ذخيرة أو جراب للطلقات». إنه يفهم تكتيكات الجندى الميكانيكى والجندى المترجل. إنه ماهر فى قدرات عمليات الهليكوبتر والطائرات ذات الأجنحة الثابتة لأنه فى معظم الأحوال العميل المسيطر. إن توجيه الطائرات يعنى أنه يفهم أسلحة الدفاع الجوى. إنه ماهر فى الهندسة والملاحة لتوجيه نيران الهاونات والمدفعية.. فى المدرعات والأسلحة المضادة للدبابات، والألغام والأسلحة المضادة للألغام والتكتيكات، واستخدام وسائل التدمير، والحاسبات، والمركبات، ووسائل التمييز بالليزر، وأجهزة التنشين الحرارية، وأجهزة الاتصال للأقمار الصناعية، وتنظيم الإمداد بالاحتياجات والشئون الإدارية - كل ذلك جزء من صندوق أدواته. «إن قتال الموجة الثالثة يشمل أكثر من مجرد الضغط على الزناد».

إن التكنولوجيا العسكرية تختلف بعض الشىء. فالجنود لا ينقسمون إلى مباشر أو غير مباشر ولكن من المقدمة أو الخلف (الذيل). وذيل الموجة الثالثة الآن أطول بكثير جدا عن ذى قبل. يقول الجنرال بيير جالوا: «أرسلت الولايات المتحدة حوالى ٥٠٠,٠٠٠ جندى إلى الخليج وكان هناك ٢٠٠,٠٠٠ إلى ٣٠٠,٠٠٠ قوات دعم لأغراض التأمين الإدارى. ولكن فى الواقع كسب الحرب ٢٠٠٠ جندى فقط. لقد نما الذيل إلى حد كبير جدا» بل إن هذا الذيل تضمن برامج حاسبات - الرجال والنساء على حد سواء -

هناك فى الوطن فى الولايات المتحدة بعضهم كان يعمل على الحاسبات الشخصية فى منازلهم.

ومرة أخرى ما يحدث فى الاقتصاد ينعكس فى العسكرية.

٥ - الابتكار (التجديد) INNOVATION

كان أحد المعالم الأخرى لحرب الخليج المستوى العالى للمبادرة التى أبداها العسكريون والمدنيون على حد سواء. يقول الكولونيل الان كامبن: «إن شبكة الحاسبات التى قامت بتغذية كل مصادر المخابرات للقوات الأمريكية كانت على وشك أن تغوص عبر حدود المملكة العربية السعودية فى ٢٤ فبراير ١٩٩١، لم تكن موجودة قبل ذلك بستة أشهر، عندما قام العراق بغزو الكويت». ويقول: لقد تم تطويرها.. بواسطة مجموعة من المبدعين الذين اكتشفوا كيف يطوعون القوانين (القواعد)، والتغلب على البيروقراطية واستغلال المواد والبرامج المجودة على الأرفف لتنفيذ العمل بطريقة سليمة».

٦ - المقياس SCALE

المقياس يتعرض للتغيير أيضا بالتوازى. إن خفض الميزانيات فى كثير (وليس فى كل) من الدول يوجب على القادة خفض حجم قواتهم. كما أن ضغوطا أخرى تدفع الأمور فى نفس الاتجاه. إن المفكرين العسكريين يكتشفون أن وحدات صغيرة - مثل سرايا «نحيله وعنيده» LEAN AND MEAN فى حرب تنافسية - يمكنها أن تنتج ضربات مدوية كثيرة MORE BANG FOR THE BUCK.

وحتى وقت قريب كان يعتقد أن فرقة قوامها ١٠٠٠٠ - ١٨٠٠٠ رجل هى أصغر وحدة قتالية قادرة على العمل مستقلة لفترة طويلة. وهى تشمل

فى حالة الفرقة الأمريكية ثلاثة أو أربعة لواءات يتكون كلٌ من ٢ إلى خمس كتائب مع عناصر دعم مختلفة وقيادة ولكن يقترب اليوم الذى يأتى فيه لواء الموجة الثالثة من ٤٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ رجل يكون قادرا على أن يقوم بكل مهام الفرقة فى الماضى، ووحدات برية مسلحة مناسبة وصغيرة يمكنها أن تقوم بمهام لواء.

٧ - التنظيم ORGANIZATION

إن التغييرات فى البناء التنظيمى فى أفرع القوات المسلحة يوازى أيضا التطورات فى عالم الأعمال. وفى الإعلان أخيرا عن إعادة التنظيم شرح وزير الطيران الأمريكى دونالد ريس: «إن قائد قاعدة جوية سوف تكون له سلطة مطلقة على كل شىء فى القاعدة - ابتداء من المقاتلات والتنبؤات الجوية إلى طائرات الإعاقة الرادارية».

ومثلها مثل أعمال الموجة الثالثة ستقلل العسكرية من جمودها ومن سيطرتها من القمة إلى القاع. ويرى سميث، الجنرال السابق فى القوات الجوية الذى كان مشرفا على التخطيط بعيد المدى أصبح معروفا لمشاهدى الـ سى ان ان CNN عندما قدم تعليقاته خلال الحرب مع العراق. وطبقا لسميث: «الآن وللينتاجون قيادة عظيمة وسيطرة وتسهيلات اتصالات تحقق له الاتصال الفورى بقواتنا حول العالم يشعر الكثيرون أن كل الحروب سيتم السيطرة عليها بواسطة البنتاجون ذاته.. ومع ذلك فى حرب الخليج حدث العكس تماما».

فلقد أعطى للقادة الميدانيين قدرا كبيرا من الاستقلالية.

وهذا يتعارض تماما مع الخبرة السوفيتية التى تستخدم نظم القيادة والسيطرة والاتصالات C^3I لتدعيم سلطة أعلى إلى أسفل - DOWN TOP

فى نظام يسمى «القيادة الأمامية من الخلف» (FORWARD COMMAND FROM THE REAR).

إن تحول السلطة إلى أسفل تتضاد كثيرا حتى مع طريقة صدام حسين فى سيطرته على جيشه - قادته فى الميدان فى رعب من القيام بأية حركة دون تصديق من السلطة الأعلى. فى عسكرية الموجة الثالثة تماما كما فى شركة الموجة الثالثة، سلطة اتخاذ القرار تم دفعها إلى أدنى مستوى ممكن.

٨ - تكامل النظم SYSTEMS INTEGRATION

فى الحرب الجوية بالخليج كان على مديرى الفضاء الجوى، كما يسمونهم، DE - CON - FLICT أن يمنعوا الصدام فى الأجواء - وذلك بضمان عدم اعتراض طائرات الحلفاء لبعضها البعض - ولتحقيق ذلك كان عليهم أن يحددوا آلاف المسارات للطلعات طبقا لأمر تنفيذ مهام جوية يومى. وطبقا لما ذكره كامبن كان على هذه الطلعات الجوية أن تطير بسرعات عالية خلال «١٢٢ مسار إمداد جوى بالوقود مختلفة، ٦٦٠ مناطق عمليات محظورة، ٣١٢ مناطق اشتباك صواريخ، ٧٨ ممرات ضربات، ٩٢ منطقة دوريات قتالية جوية، ٣٦ منطقة تدريب، كل ذلك منتشر فى ساحة ٩٣٦٠٠ ميل «وعلاوة على ذلك فكل هذا كان يجب تنسيقه بعناية مع التغيرات المستمرة للممرات الجوية المدنية لست دول مختلفة».

إن التأمين الإدارى (الشئون الإدارية) للحرب كان مجفلا للعقل أيضا، حتى عملية سحب القوات الأمريكية بعد القتال كانت مهمة تذكارية. كان الجنرال وليام ج باجونيس مسئولا عن شحن نصف مليون رجل عائدين إلى الولايات المتحدة. ولكن المهمة كانت تشمل كذلك غسيل وتجهيز ونقل

أكثر من ١٠٠,٠٠٠ لورى وجيب ومركبات ذات عجل أخرى، ١٠,٠٠٠ دبابة وقطعة مدفعية، ١٩٠٠ هليكوبتر، وأكثر من ٤٠٠٠٠ حاوية تم تحريكها.

إن ما جعل ذلك ممكنا بالنسبة للعسكرية ليست الحاسبات وقواعد البيانات والأقمار الصناعية فحسب بل أيضا التكامل المنظم.

٩-البنية الأساسية INFRASTRUCTURE

مثل الأعمال للموجة الثالثة تتطلب عسكرية الموجة الثالثة بنية أساسية إلكترونية متشعبة واسعة. فبدونها يستحيل التكامل المنظم.

ابتداء من القدرات الدنيا فى المنطقة تم إنشاء مجموعة من الشبكات المتصلة ببعضها البعض بسرعة عالية. طبقا للارى وينتز من شركة ميترى اعتمدت هذه الشبكات على ١١٨ محطة أرضية متحركة لاتصالات الأقمار الصناعية تكملها ١٢ محطة تجارية للأقمار الصناعية تستخدم حوالى ٨١ سويتش خلقت ٣٢٩ دائرة صوتية، ٣٠ دائرة رسائل.

وتم تنفيذ وسائل ربط معقدة للغاية لربط كثير من قواعد بيانات أمريكية مختلفة وشبكات مع تلك الموجودة فى منطقة الحرب. كل ذلك كان يعالج ٧٠٠٠٠٠ مكالمة تليفونية، ١٥٢٠٠٠ رسالة فى اليوم واستخدام ٣٠٠٠٠ تردد لاسلكى. لقد شملت الحرب الجوية وحدها ٣٠ مليون مكالمة تليفونية.

١٠-التسارع ACCELERATION

إن حركة الالتفاف المشهورة للجنرال شوارتسكوف حول دفاعات صدام حسين إلى الغرب كان تنفيذا كلاسيكيا للمناورة. وكان هذا الالتفاف والتطويق متوقعا لكل من ينظر إلى الخريطة رغم الجهود التى بذلت لخداع صدام حسين حتى يعتقد أن هجوما بالمواجهة أمر مؤكد.

وما أدهش القادة العراقيين كانت السرعة التى تحقق بها الالتفاف والتطويق. ويبدو أنه لم يوجد على الجانبين من يعتقد أن القوات البرية للحلفاء يمكنها أن تتقدم بهذه السرعة العالية. إن هذه الزيادة فى سرعة الحرب (مثل زيادة سرعة عقد الصفقات فى الاقتصاد) كانت بسبب الحاسبات ووسائل الاتصال عن بعد وبالذات الأقمار الصناعية.

ولكن طفت إلى السطح شكاوى وانتقادات بعد القتال بأن المخابرات التكتيكية كانت بطيئة جدا فى الوصول إلى الجبهة التى احتاجت إليها. فى بداية درع الصحراء - يقول آلان كامبين - كان الطلب على معلومات المخابرات الحديثة عن الموقف فى الكويت والعراق يهدد قدرات وكالة المخابرات العسكرية الأمريكية لضخامتها.

كان حجم كبير من المعلومات يتدفق من الأقمار الصناعية ومصادر أخرى ولكن كان التحليل بطيئا يفتقر إلى قدرة وسائل اتصالات مناسبة، والصور الجوية المتشابكة للأوضاع البرية العراقية والمنشآت الدفاعية لم تصل إلى الوحدات التى تحتاجها لمدة ١٢ - ١٥ يومًا. والمعلومات التى تم إنتاجها بواسطة مخابرات الجيش ومركز تحليل التهديد كانت تحمل باليد إلى الفيالق والفرق المختلفة فى الميدان بواسطة الهليكوبترات واللوارى وعلى الأقدام. وكانت هذه الوحدات منتشرة فى منطقة تساوى فى حجمها حجم شرق الولايات المتحدة.

وبحلول الوقت الذى بدأت فيه الحملة الجوية تم تقليل التأخير إلى ١٣ ساعة - وكان ذلك تطورا عظيما ولكنه لم يكن سريعا بالقدر الكافى.

وغير مطلوب فى المعركة السرعة المطلقة ولكن السرعة النسبية حسب خطوة العدو.

رغم هذه العيوب فان فوربز FORBES مجلة أعمال، كانت صادقة عندما كتبت تقول: «لقد فازت أمريكا بالحرب العسكرية.. نفس الطريقة التى يفوز بها اليابانيون فى حرب التجارة والصناعة العالية والتكنولوجيا ضدنا، وذلك باستخدام استراتيجية تنافسية سريعة الدورة تعتمد على الوقت».

من الطبيعى أن الطريقة التى نصنع بها الثروة هى حقا الطريقة التى نصنع بها الحرب. فى حرب الخليج استخدم نمطان عسكريان، نمط الموجة الثانية ونمط الموجة الثالثة. والقوات العراقية كانت آلة عسكرية تقليدية. إن الآلات هى تكنولوجيا صماء لعصر الموجة الثانية، قوية لكنها غبية. وعلى النقيض لم تكن قوة الحلفاء آلة وإنما نظام له قدرات متفوقة للتغذية الداخلية والاتصالات والضبط الذاتى. لقد كانت (فى الواقع وجزئيا على الأقل) نظام تفكير موجة ثالثة.

فقط عندما يتم فهم هذه القاعدة يمكننا أن نلمح مستقبل العنف المسلح – وهذا نوع ضد – الحروب التى قد يتطلبها المستقبل.

صدام صور - حرب

A COALLISION OF WAR - FORMS

كان هناك (كما رأينا) نوعان أساسيان من المدنية. واليوم (كما رأينا) يتحرك العالم من نظام ثنائى إلى نظام ثلاثى فيه اقتصاديات زراعية فى القاع واقتصاديات المدخنة فى الوسط وقاعدة للمعرفة أو اقتصاديات الموجة الثالثة، على الأقل لوقت ما، تحتل قمة هرم القوة العالمية. وفى هذا البناء العالمى تعتبر الحرب أيضا ثلاثية.

أحد النتائج المتوقعة من كل هذا ستكون تنوعا حادا لأشكال الحروب التى قد نواجهها فى المستقبل ، إنها حقيقة بديهية عسكرية إن كل حرب تختلف، ولكن القلة تفهم كيف ستختلف حروب الغد - وكيف سيؤدى هذا التنوع المتنامى إلى تعقد جهود المستقبل للمحافظة على السلام.

منذ قرن ونصف تحدث كارل ماركس عن طرقٍ مختلفة للإنتاج. وهنا يمكننا التحدث عن طرق مختلفة للتدمير كل تعتبر خاصية لحضارة محددة. ويمكننا أن نسميها بطريقة أبسط (صور - حرب) وإذا ما بدأنا نفكر فى مصطلحات عن تفاعل صور مختلفة للحرب سيكون لدينا أداة جديدة مفيدة فى تحليل كلٍّ من تاريخ ومستقبل الحرب.

الرشاشات فى مواجهة الرماح

MACHINE GUNS VERSUS SPEARS

وفى طبقة أخرى من الحروب تختلف بحدة صور الحرب، فعلى سبيل المثال الحروب الاستعمارية للقرن التاسع عشر، فى الهند وأفريقيا شن

الأوربيون حربا صناعية ضد مجتمعات زراعية قبلية، لقد بدأت الجيوش الأوروبية فى التصنيع مبكرا منذ حروب نابليون. وبحلول أواخر القرن التاسع عشر أصبحت تستخدم الرشاشات (فقط ضد غير البيض).

فى آسيا ابتداء من مارس ١٩١٩ ثار الوطنيون الكوريون ضد الحكم الاستعمارى اليابانى. وباستعادة ذكريات العشرينات نذكر رجلا أصبح بعد ذلك دكتاتور كوريا الشمالية كيم ايل سونج: (وماذا إذا تمكنا من هزيمة قوات استعمارية تنتج الدبابات والمدفعية وسفنا حربية وطائرات وأسلحة حديثة أخرى إلى جانب معدات ثقيلة على خطوط إنتاج).

إن المتضادين فى مثل هذه الصدامات لم يمثلوا ببساطة دولا وثقافات مختلفة، إنهم كانوا يمثلون حضارات مختلفة وطرقا مختلفة لصناعة الثورة، إحداها تعتمد على المحراث والأخرى تعتمد على خط التجميع. والعسكريات الخاصة بهم كانت تعكس صدام الحضارات.

السامورای والجندی SAMURAI AND SOLDIER

لقد اختطف الأوربيون أجزاء كبيرة من آسيا عندما بدأت اليابان على طريقها الخاص فى التصنيع بعد ثورة ميجى (MEIJI) فى عام ١٨٦٨ وبتصميم على أن لا تكون الضحية الثانية للتوسع الأوروبى قررت اليابان العمل على التصنيع ليس فقط بالنسبة لاقتصادها ولكن لعسكريتها أيضا.

لم يمض وقت طويل، وفى عام ١٨٧٧ انتهى تمرد ساتزوما. وفيها حاول الساموراى الوقوف مرة أخيرة ضد جيش الإمبراطور. إن الحرب فى نظر ميروين هاريس (مؤلفا جنود الشمس SOLDIERS OF THE SUN) هى آخر نموذج (للقتال المتلاحم يدا بيد بين الساموراى) ولكنها رأت أيضا استخداما مبكرا لصورة الحرب الصناعية. وبينما شملت قوات الإمبراطور بعض ساموراى الموجة الأولى أيضا فإنها كانت تتكون – إلى حد كبير من

مجندين موجة ثانية – مسلحين بمدافع جاتلنج وهاونات وبنادق وعلى ذلك فهنا كما فى حرب الخليج اعتمد طرف على شكل مفرد للحرب بينما قاتل الطرف الآخر حربا مزدوجة.

لقد عرفنا أن الصور القديمة للحرب لا تختفى كلية عندما تبزغ الصورة الجديدة. تماما كما لم يختف الإنتاج الكثيف للموجة الثانية بظهور منتجات الموجة الثالثة حسب طلب الزبون، فاليوم أيضا من المحتمل وجود حوالى عشرين دولة بها جيوش عقيدة موجة ثانية. وعلى الأقل سيقوم بعضها بإرسال جنود مشاة لتموت فى صدامات المستقبل. إن الخنادق والملاجئ وحشود القوات والهجمات بالمواجهة – كل هذه الطرق وأسلحة الموجة الثانية سيستمر دون استغلالها طالما استمرت الأسلحة غير الدقيقة منخفضة التقنية والدبابات الغبية بدلا من الذكية والمدفعية.. إلخ – تملأ ترسانات الدول الفقيرة الغاضبة. لجعل الأمور أكثر تعقيدا وبعض دول الموجة الأولى والثانية الآن تعمل على الحصول على أسلحة الموجة الثالثة ابتداء من نظم الدفاع الجوى إلى الصواريخ بعيدة المدى.

إن دول التقنية العالية فى طريقها إلى تطوير اقتصاديات قوة العقل (BRAIN FORCE) وقد تجد نفسها إما: قد تورطت فى تلك الصدامات أو اندفعت إلى حرب نتيجة ثورات سياسية داخلية. إن العنف العرقى والدينى خارج حدودها قد يشعل عنفا موازيا فى الداخل. إن احتمال حدوث قتال بين دولتين متقدمتين تكنولوجيا أو موجة ثالثة لم يعد أمرا مستبعَدًا. إن الهواء يزخر بسيناريوهات حرب تجارة قد يترجم (إذا ما عولجت بغباء) إلى حرب حقيقية بين دول تجارية رئيسية.

قد ارتفع التنوع الآن إلى مستوى أنه لا توجد دولة يمكنها خلق عسكرية لها قدرات كاملة (OMNI – CAPABLE). حتى الولايات المتحدة تعترف

باستحالة تمويل أو شن كل أنواع الحروب. وعلى أساس خبرتها فى حرب الخليج تقول واشنطن: إنها ستبحث فى المستقبل حيثما كان لخلق تحالفات مناسبة لحدوث أية أزمة، مع حليف يشترك فى قمة العمل بتقديم قوات عسكرية متخصصة وتكنولوجيات وأى شىء آخر تفتقر إليه، (هذا الاقتراب بالمصادفة يتماشى تماما مع جهود أكبر الشركات العالمية لتكوين تحالفات استراتيجية واتحاد CONSORTIA للمنافسة بفاعلية).

إن التحول من نظام قوى عالمى ثنائى إلى ثلاثى وإلى تنوع عسكرى مُتنامٍ بصورة ضخمة يضطر الجيوش فى كل أنحاء العالم إلى إعادة التفكير فى عقائدهم الرئيسية. وهكذا فإننا فى فترة تخمر عقلانى بين المفكرين العسكريين، تماما كما لم تقم المدنية التى جَلَبَتْهَا الموجة الثالثة بعد باتخاذ شكلها الناضج فإن صورة حرب الموجة الثالثة أيضا لم تصل بعد إلى تطورها الكامل. وكانت المعركة الجوية البرية هى مجرد البداية.

إن ما لدينا حتى الآن فى الحقيقة هو شىء بدائى غير متطور. بعد أن تم ابتداعها أساسا بواسطة عمل الجنرالين ستارى وموريللى ومراجعتها وأخيرا اختبارها فى أرض المعارك فى العراق أصبحت صورة حرب الموجة الثالثة على وشك أن تكون متسعة ومتعمقة جذريا. إن التخفيضات الواسعة فى تمويل العسكرية بدلا من منعها ستعمل على تسارع هذه المادة ووضع الأفكار بتعمق بينما تحاول الجيوش أن تفعل أكثر بموارد أقل. إن مفتاح إعادة التفكير ستظل فكرة أشكال الحرب وكيف ترتبط ببعضها البعض.